

الشَّيْخ الرُّوحانيّ

يُوحَنّا الدَّلياتي

مِنَ القَرْن السَّابع

مَجْمُوعَة المَيامِر الرُّوحِيَّة

نَقَلها عَن السّريانيّة وَقدّم لها

الأب سَليم دَكّاش اليَسُوعيّ

 دار المشرق - بيروت



الشيخ الروحاني

يوحنا الدلياتي

من القرن السابع

مجموعة المیامر الروحية

نقلها عن السريانية وقدم لها
الأب سليم دكاش اليسوعي

دار المشرق - بيروت

لا مانع من طبعه

بولس دحدح
النائب الرسوليّ للّاتين في لبنان
بيروت، في ١٨/٣/٢٠٠٢

دار المشرق ش.م.م.
ص.ب. ٠٩٤٦ - ١١
رياض الصلح، بيروت ٢٠٦٠ ١١٠٧
لبنان
http://www.darelmachreq.com

ISBN 2-7214-4983-4

التوزيع: **المكتبة الشرقيّة**
الجسر الواطي - سنّ الفيل
ص.ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان
تلفون: ٤٩٢١١٢ - ٥/٤/٤٨٥٧٩٣ (٠١)
فاكس: ٤٨٥٧٩٦ (٠١)
Email: libor@cyberia.net.lb

توطئة

بعد أن صدرت **مجموعة الرسائل الروحيّة ليوحنّا الدلياتيّ** باللغة العربيّة نقلًا عن السريانيّة[١]، كان لا بدّ من العمل الدؤوب لإتمام نقل **مجموعة الميامر الروحيّة** إلى العربيّة وكذلك نشرها، لما لهذه الميامر من أهمّيّة في إطار الأدب السريانيّ الروحيّ وفي لُحمة الحياة الرهبانيّة النسكيّة الشرقيّة. ويؤكّد الأب روبير بولاي الاختصاصيّ بهٰذا الكاتب، أنّ للميامر أهمّيّة عميقة ووزنًا قصيًّا في تعليم الدلياتي الروحيّ[٢]. إذ يمكن إعادة تشكيل البنية الأساسيّة لعقيدته الروحيّة استنادًا إلى العديد من الميامر.

أمّا بخصوص عنوان هذا الكتاب وهذه المجموعة من كتابات يوحنّا الدلياتيّ، فإنّنا اخترنا الحفاظ على كلمة «الميامر»، وهي تعني حديثًا أو بحثًا أو خطبةً، أو مقالًا دفاعيًّا أو عظةً، ولم نعتمد كلمة عظة، إذ إنّ لهذا التعبير معناه الحصريّ في القاموس العربيّ. وتجدر الإشارة

(١) راجع الشيخ الروحانيّ، يوحنّا الدلياتي، **مجموعة الرسائل الروحيّة**، نقلها عن السريانيّة وقدّم لها الأب سليم دكّاش اليسوعيّ، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦، ٢٣٨ صفحة.

(٢) راجع Robert Beulay, *l'Enseignement spirituel de Jean de Dalyatha*, Editions Beauchesne, 1990, p. 41.

إلى أنّ كلمة ميمر (ܡܐܡܪܐ) لها وزنها الكبير في أدب القدّيس أفرام السريانيّ، إذ إنّه اعتمد طريقة ابن ديصان في بثّ أفكاره على نطاق واسع، حتّى نسبت إليه جميع أنواع الغناء التعليميّ، وسُمّيت «الأفراميّات، وهي على نوعين رئيسيّين: المدارش والميامر»[٣]. والمعروف أنّ الميمر خطاب موزون من الفنّ القصصيّ والملحميّ تُلِي في الكنائس في أثناء الاحتفالات، راويًا الكتاب المقدّس وسِيَر القدّيسين[٤]. ويمكن أن تكون الميامر شفهيّة إلّا أنّ بعضها كان مكتوبًا. وبما أنّه يصعب نقل كلمة «ميمر» إلى العربيّة، وبما أنّ المخطوطات السريانيّة وكذلك المخطوطات العربيّة القديمة[٥] استخدمت بالإجمال كلمة «ميمر» في عناوين هذا النوع من الكتابات، فإنّنا اعتمدنا عنوانًا **مجموعة الميامر الروحيّة**، بعد **مجموعة الرسائل الروحيّة**.

---

(٣) فولوس غبريال وكميل أفرام البستانيّ، **الآداب السريانيّة**، ٤، الجزء الأوّل، منشورات الجامعة اللبنانيّة، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٣٦.

(٤) **المرجع نفسه**، ص ١٩.

(٥) أهمّ المخطوطات السريانيّة لميامر الدلياتيّ هي التالية:

- **ڤاتيكان سريانيّ ١٢٥**، من القرن العاشر أو الحادي عشر.
- **ڤاتيكان سريانيّ ١٢٤**، من القرن الرابع عشر، ونقرأ على صفحته الأولى: «هذا الكتاب من دير السريان الذي ببرِّيَّة أبو مقار في جبل شهيت». وقد اعتمدنا هذا المخطوط أساسًا لنقل نصّ الميامر إلى العربيّة.
- **هارفرد سريانيّ، رقم ٣٠**، من القرن الخامس عشر، وقد استخرجنا منه بعض النصوص غير الموجودة في مخطوط **ڤاتيكان ١٢٤**.
- الترجمة العربيّة القديمة التي كانت منتشرة في أديرة جبل لبنان، وقد اعتمدنا مخطوط مكتبة حلب المارونيّة رقم ٣٦١، وهو منسوخ في بداية القرن الثامن عشر ونقرأ في ختامه التالي: «كان الفراغ من نساخة هذا الكتاب المبارك في أوّل يوم من شهر آذار المبارك سنة ألف وسبعماية وثمانية مسيحيّة على يد كاتبه القسّ إغناطيوس، الراهب في دير سيّدة لويزة بذوق مصبح في بلاد كسروان» (الصفحة ١٩٣).

يوحنّا الدلياتيّ، الشيخ يوحنّا، الشيخ الروحانيّ، يوحنّا أبو الدوالي

ينسب التقليد الأدبيّ الرهبانيّ نصوص **الرسائل والميامر** وكذلك **رؤوس المعرفة** إلى «القدّيس الأب الروحانيّ المعروف بالشيخ» و«الشيخ الروحانيّ»، وقد أظهرت الدراسات الحديثة على المخطوطات ومختلف طبقاتها أنّ «الشيخ الروحانيّ» هو يوحنّا الدلياتيّ بالرغم من أنّ التقليد الأدبيّ لم يربط اسم الدلياتيّ باسم الشيخ إلّا في القرن الثالث عشر في كتاب **الإيتيقون** لابن العبري. إلّا أنّ دراسة مقارنة بين نصوص يوحنّا الشيخ كما جاءت في المخطوطات القديمة والكتابات التي أدانها مجمع الكنيسة المشرقيّة المنعقد في السنة (٦٨٦-٦٨٧) تقول بصراحة إنّها من يوحنّا الدلياتي وإنّها مرفوضة لأنّها تدين بالسابيليّة والميصاليّة: فالمذهب الأوّل كان يقول بأنّ الثالوث الأقدس ليس حقيقة في ذاته، بل هو ثلاثة أحوال لألوهيّة واحدة، وقد دين يوحنّا إذ قال عن الابن والروح إنّهما قوّتان لا شخصان[٦]. أمّا المذهب الميصاليّ أو المصلي فكان يدعو المسيحيّين إلى ترك أعمالهم ووظائفهم وممارسة واجباتهم الدينيّة والتقليديّة، والالتحاق بالمذهب الذي يدعو إلى الزهد الخالص ويرفع الإنسان إلى درجة رؤية الله[٧]. فما تبغي الدلالة عليه في هذا السياق ليس تبرير مواقف يوحنّا الدلياتيّ أو تبرئته[٨] بل الإشارة إلى أنّ نصوص يوحنّا الدلياتيّ كما وردت في محضر مجمع الكنيسة الشرقيّة هي نفسها

---

(٦) راجع **مجموعة الرسائل الروحيّة**، الرسالة الخامسة والعشرون.

(٧) راجع Philippe Escolan, *Monachisme et Eglise*, Editions Beauschesne, Paris, 1999, pp. 91-124.

(٨) راجع في هذا الإطار، الأب سليم دكّاش اليسوعيّ، «وجه من التراث السريانيّ: يوحنّا الدلياتيّ، الشيخ الروحانيّ»، مجلّة **المسرّة**، تمّوز - آب ١٩٨٦، ص ٤٠٤-٤٠٥.

النصوص التي ينسبها التقليد إلى الشيخ الروحانيّ. أمّا نسبة هذه الكتابات إلى البارّ يوحنّا بن فنكايي، فإنّ مقارنتها الدقيقة بمؤلّفات ابن فنكايي الأصيلة تظهر أنّ لا علاقة له بالشيخ الروحانيّ.

أمّا غريغوريوس ابن العبري (١٢٢٦-١٢٨٦)، وهو من ألمع رجالات الأدب والتاريخ والفلسفة عند السريان، وصاحب **مختصر تاريخ الدول والتاريخ الكنسيّ**، فإنّه يستشهد بالدلياتيّ بصورة مباشرة وكذلك بوجه غير مباشر في كتابه **الإيتيقون، فلسفة الآداب الخُلُقيّة**، وقد ألّفه بالسريانيّة العام ١٢٧٩[٩]. فهذا الكتاب هو نوع من موسوعة في علم الأخلاق، من الناحيتين النظريّة والعمليّة، وهو في أربع مقالات: الأولى في ترويض الجسد وتنظيم حركاته من الصلاة والنسك والسهر والنوم والصوم والعزلة، والمقالة الثانية في ترتيب أعمال الحياة الجسديّة من أكل وشرب وزواج ونظافة وعدالة، والمقالة الثالثة في تنقية النفس من الأهواء الشرّيرة، والرابعة تتناول تجميل النفس بأنواعٍ من الفضائل شتّى كالعلم والإيمان والتوبة والصبر والشكر والفقر والتوكّل والمحبّة وذكر الله ومحبّة الله. وفي هذه المقالات كلّها يعود ابن العبري إلى عددٍ معيّن من الآباء اليونانيّين والأقباط والسريان، إذ إنّ يوحنّا الدلياتيّ، ويسمّيه المترجم يوحنّا أبو الدوالي له المكان الأبرز بين الآباء السريان إلى جانب مار إسحاق السريانيّ. واللافت النظر أنّ ابن العبري يعود إلى نصوص ينسبها إلى الشيخ يوحنّا، أو إلى الشيخ، أو إلى يوحنّا أبو الدوالي، من دون أن يذكر اسمه أو المرجع، والنصوص هذه هي بمجملها من يوحنّا الدلياتيّ، فيمكن أن نذكر استشهاد ابن العبري

(٩) راجع ابن العبريّ، **الإيتيقون، فلسفة الآداب الخلقيّة**، ترجمة مار غريغوريوس بهنام، مطبعة الشباب، مكتبة دار اللواء، القامشلي، ١٩٦٧.

بالميمر في الصلاة[١٠] والميمر في عطايا الروح[١١] وبما يقوله في الكبرياء[١٢] وبنصوص أخرى مهمّة تظهر كم أنّ كتاب **الإيتيقون** مرتبط ومتأثّر بعقيدة الدلياتيّ الروحيّة[١٣]. إنّ ذلك كلّه يُبيّن أنّ الأدب السريانيّ، في مرحلة معيّنة، وعى جليًّا أنّ الشيخ القدّيس الروحانيّ لم يكن سوى يوحنّا الدلياتيّ.

«مجموعة الميامر الروحيّة» وعلاقتها بعقيدة الدلياتيّ النسكيّة

تتّفق مختلف طبقات المخطوطات أكانت من هارڤرد أو من كمبردج أو من ڤاتيكان أو من حلب (عربيّ)[١٤] أنّ الميامر تشكّل مجموعة متميّزة ضمن كتابات يوحنّا الدلياتيّ، بالرغم من أنّ بعض التداخل البسيط قد حصل أحيانًا، إذ دخل عدد محدود من الرسائل في إطار مجموعة الميامر. فالرسائل، وإن عبقت بعناصر كثيرة من التعليم الروحيّ، إلّا أنّ أسلوبها يبقى في إطار المخاطبة المباشرة بين أخ وأخيه، أو بين أخ وإخوته، وهو كذلك أسلوب شموليّ بحيث تتناول الرسالة الواحدة موضوعات مختلفة إلّا في حالات معدودة حول الصلاة والثالوث الأقدس والتواضع والتوبة. وكذلك يتحدّث المؤلّف عادةً عن نفسه واختباره الروحي في الرسائل، ويتحدّث عن مختلف الموضوعات في شكل التساؤل أو في صيغة النصح الأخويّ والإرشاد المستند إلى اختبار خاصّ.

---

(١٠) راجع ابن العبريّ، **المرجع السابق**، ص ٩٨؛ وأيضًا ص ١٠٩.
(١١) راجع ابن العبريّ، **المرجع نفسه**، ص ٤٠٤.
(١٢) راجع ابن العبريّ، **المرجع نفسه**، ص ٢٧٨.
(١٣) راجع **المرجع نفسه**، الصفحات ٢٩٥، ٣٧٠، ٣٨٧، ٣٩٩، ٤٠٥ إلخ...
(١٤) بخصوص التقاليد التي تعود إليها مختلف المخطوطات، يمكن مراجعة مقدّمة أ. كولليس لنصّ الميامر المحقّق (غير مطبوع، جامعة مالبورن، أستراليا).

أمّا الميامر فإنّها اعتمدت في الغالب أسلوب البحث أحيانًا في موضوع أو مفهوم معيّن أو في قضيّة مفردة، مثل شيطان التجديف أو الصلاة أو المحبّة أو التأمّل في حياة الطفل يسوع. إنّها تعالج القضايا ذات الطابع الروحيّ وأثرها في نفس المتوحّد، وهي تقدّم النصائح والإرشادات ذات الطابع العمليّ، بصورة نظاميّة، من دون أن تفقد ذلك الطابع الأدبيّ الشاعريّ الذي يميّز أدب الدلياتيّ. إنّها تذكّر أحيانًا بوقفة المعلّم الباحث الذي يعرض عبر مختلف هذه الميامر الأسس التي يقوم عليها تعليمه الروحيّ ويحدّد هيكله ومداميكه ثمّ يعرض مختلف مقوّمات النموّ الروحيّ للمتوحّد الذي يرجو الكمال في حياة الاتّحاد والمحبّة.

الميمر الأوّل[١]

في التحفّظ والانقطاع من المسترخين والمتوانين،
لأنّ منهم مَن يملك عليه الكسل والرخاوة،
ويمتلئ من كلّ الأهواء النجسة،
ولأنّ منهم مَن يجب عليه أن يحذر المؤالفة
لئلّا يتنجّس ذهنه بفسق أفكاره[٢].

(١) مَن منع فمه عن الكلام حفظ قلبه من الأهواء. ومَن نقّر قلبه منها يرى الله كلّ حين. ومَن يهذّ بالله كلّ وقت يطرد الشياطين[٣] من حوله ويهلك زرع خباثتهم. مَن يحدّق في نفسه كلّ حين يبتهج قلبه عند الاستعلانات[٤]، ومَن يحوّل نظر ذهنه إلى داخله يرى شعاع الآب.

---

(١) م ف س ١٢٤، ٢٧٧ب-٢٨٢ب. م ع ح ٣٦١، ١أ-٧أ.

(٢) هذا الميمر متعدّد الموضوعات ويفتقد نوعًا ما، إلى الوحدة الذاتيّة. يحتوي على الكثير من الحكمة الروحيّة العمليّة. الدرجات الثلاث: التطهير والتنوير والاتّحاد متداخلة في مختلف فقرات هذه العظة، حيث إنّ الدلياتي يركّز على ضرورة المحافظة على الحياة النسكيّة في التوحُّد، وعلى أهمّيّة الامتناع عن مخالطة العالميّين من أيّ نوعٍ كانوا. والتحفّظ، كما يشير إلى ذلك، عنوان العظة، يكون بحفظ القلب منّ الغضب والأهواء وذكريات العالم.

(٣) راجع لو (١١، ٢٠).

(٤) في السريانيّة (ܓܠܝܢܐ) إجهار، إعلان، تجلٍّ. عند الدلياتيّ، مصطلح مختصّ بدرجة الاستنارة أو المنزلة الثانية، إذ إن المتوحّد يصل إلى رؤية ما ينكشف له من محبّة الله، وقد حافظنا على تعبير «استعلان» بحسب الترجمة العربيّة القديمة. واستعلن الأمر أي إنّه أصبح معلنًا ومنكشفًا.

ومَن احتقر التلهّي رأى سيّده داخل قلبه. أنتَ يا مَن ترغب في النقاوة التي يُرى بها سيّد الكلّ لا تفتر، ولا تسمع كلام الافتراء عن إخوتك. وإن حدثت حولك خصومة أو سمعت رجزًا، سُدَّ أذنيك واهرب من مكانك لئلّا تموت نفسك عن الحياة.

(٢) قلبُ الغضوب خالٍ من أسرارِ الله. أمّا قلب الوديع والهادي فهو ينبوع أسرار العالم الجديد[٥]. إن كنتَ طاهرًا، تكُنْ السماء في داخلك وتَر فيه الملائكة متلألئين، وسيّدهم فيهم وبينهم. والقلب الذي يُسبِّح حقًّا، لا يكون خاسرًا. إن عَذُبَت له التسبحة، يكُنْ عاملًا من دون أجرة. ذخيرةُ المتواضع في داخله هي الربُّ بعينه. وحَذِرُ اللسان لا يُسلَب أبدًا. فمُ السكوت يترجِمُ أسرارَ الله. ومَن يتكلّم كثيرًا يبتعد عنه خالقه. نفس اللطيف تفوق الشمس تنوُّرًا، وهي تتنعّمُ برؤية الاستعلانات الإلهيّة كلّ ساعة. الملتصق بمحبّة الله يغتني بأسرار الله. والملتصق بالجاهل والمفتخر يبتعد عن الربّ ويزدريه أحبّاؤه. مَن أسكت لسانه وأيضًا كلَّ ظاهرِه يقتنِ ترتيب المتّضع الوديع. وهكذا يكون متسلّطًا على الأهواء التي تضمحلّ وتتلاشى بالهذيذ الدائم بالله. هذا هو السيفُ القاتلُ الأهواء.

(٣) كما أنّه، في هدوء البحر وسكونه، تلعب الدرافيل، هكذا في هدوء بحر القلب وسكونه من الغضب والحدّة، تتحرّك الأسرار الخفيّة والاستعلانات الإلهيّة لتنعّمه. مَن يُرِد أن يرى الله، فليتدبّر تطهيرَ قلبه بتذكُّر الله المتواصل. ومن الآن بصفاءِ عينَي ذهنه، يرى الله في كلّ حين. وما يحدث للسمكة إثر تجربة اليبس[٦]، هو ما يحدث للذهن

(٥) راجع أم (١٢، ٢٣).
(٦) راجع أش (٥٠، ٢).

عند خروجه من معرفة الله للانشغال بذكريات العالم. وعلى قدر ما يقلّل المرءُ من مخالطة الناس ومرافقتهم، يستحقّ بواسطة الذهن، أن يُكلِّم الله وأن تكون له الدالّة. وبقدر ما يقطع ويرمي عنه التعزيات العالميّة، يستحقّ الفرح في الله بواسطة الروح القدس(٧). ومثلما يضمحلّ السمك ويموت عند انعدام المياه، هكذا تضمحلّ الحركات النورانيّة التي يُحرّكها الله، من قلب المتوحّد الذي يحبّ الحديث إلى العالميّين ومرافقتهم. العالميّ الذي ينشغل بأتعاب العالم هو أفضل من المتوحّد المنشغل بالعالميّين. يخيف الشياطين ويحبّ الله وملائكته، مَنْ بغيرةٍ كبيرة يحصد من قلبه الزرع الذي يُنبته الشرّير.

(٤) بلد النقيّ النفس هو في داخله، والشمس التي تشرق فيه(٨) هي نور الثالوث المقدّس. والهواء الذي يتنفّسه سكّانه هو الروح القدس، البارقليط. والديريّون الذين يعيشون معه هم الجموع القدّوسة الروحانيّة. وحياتهم وبلدهم وفرحهم وابتهاجهم هو المسيح ضياء الآب. وذلك المتوحّد يبتهج برؤية نفسه كلّ حين، وبجمالها يتعجّب، ويفوق حسنه مائة ضعف جمال الشمس. تلك هي أورشليم وذلك هو ملكوت الله اللذان هما مختبئان في داخلنا(٩)، على حدّ ما يقول ربّنا. هذا هو بلد غمامة مجد الله: أنقياء القلوب(١٠) فقط يدخلون لرؤية وجه ربّهم، ولكي تستضيء أذهانهم بأشعّة نوره.

(٥) الحرودُ والغضوبُ، ومحبّ المجد الباطل والشَرِه، ومحبُّ بطنه

(٧) راجع روم (١٤، ١٧).
(٨) راجع مز (٨٤، ١١).
(٩) راجع لو (١٧، ٢١).
(١٠) راجع متّى (٥، ٨).

والمختلط بالعالميّين، والعنيد والحنجرانيّ، والوقح والمليء بالأهواء، هؤلاء، في الظلمة، خارج بلد الحياة والنور، ينتظرون. لهذا السبب، ذلك الميراث هو خاصّة المتّضعين والودعاء[١١] وأطهار القلوب: لا يستطيع إنسان أن يرى الحُسن الذي في داخله قبل أن يطرُدَ منه كلّ حُسنٍ إلى الخارج، ولا يشخص إلى الله إنسان قبل أن يحتقر العالم بالتمام.

(٦) مَن يحتقر ذاته ويرذلها يَنل الحكمة من الربّ[١٢]. ومَن يحسب نفسه حكيمًا[١٣]، تتخلَّ عنه حكمةُ الله. بقدر ما يسكت اللسان عن الكلام، يستنير الذهن لتمييز المعاني. ومن كثرة الكلام، يتوسوس العقل الناطق. الفقير من متاع الدنيا يغتني بالله، وصديق الأغنياء يفتقر إلى متاع الله. لأنّ العفيف والمتواضع الذي يحتقر المؤانسة، وقد أبعد الحَرَد من قلبه، أقول واثقًا إنّه متى شخص إلى ذاته في الصلاة، لا يمكن أن يُعدَمَ رؤية ضياء الروح القدس في نفسه، فيستضيء بأشعّة نوره ويبتهج برؤية مجده. وعندما تصبح نفسه شبهًا للروح، فلا عمل يستطيع أن يهدم مواكب الشياطين النجسة مثل النظر إلى الله.

(٧) قال لي واحد من الإخوة: «كنتُ مرّةً جالسًا، وسَبَت ذهني رؤية إلهيّة. وعندما تحرَّر، تنهّدتُ بقوّة. وحين سمع الشيطان الذي كان قائمًا هناك، تنهّدي، اضطرم مثل البرق، ومن شدّة ذلك، صرخ مندفعًا هاربًا». طوبى لمَن تذكّر عبورَه فيك أيّها العالم وأنّه فطم

---

(١١) راجع أم (١٦، ١٩).
(١٢) راجع أم (٣، ٦).
(١٣) راجع أم (٣، ٧).

شهوته عن السعادة التي هي منك. إذ أخذ، بدلًا، السعادة من ذبيحته، وليس له أن يمتنع عن أخذ سعادته.

(٨) ذلك هو المولود من الربّ، وذلك هو الذي تكون مربّيته الروح القدس(١٤)، ومن حضنها يرضع الحياة، ويستنشق رائحتها لتنعّمه. أمّا بشأن مَنْ ارتبط بالعالم وراحته، مع مناظره المحبوبة له، ليس لي إلّا أن أنوح النواح(١٥) المرّ لأنّ هذا انفصل عن الحياة التي سماعها يشفي قلوب السامعين. أيّها الساقطون في العمى، ارفعوا رؤوسكم، ليشرق النور على وجوهكم! إخرجوا من أهواء العالم، الجحيم الذي يخبّئ المرخيّين، لكي يخرج نور الآب إلى لقائكم(١٦)، فيأمر خدّام جلالته بحلّ رباطاتكم(١٧)، وتسيروا وراءهم نحو أبيه. الويل لنا بماذا نحن مربوطون! وممَّن نحن ممنوعون لكي لا نرى مجدَه! يا ليت رباطاتنا تنقطع ليكون الله نصيبنا(١٨).

(٩) إن كنت تريد معرفة خفايا الناس، فليس لك أن تتعلّم ذلك بواسطة الروح. فمن الكلام ومن السلوك تعلم ما في داخل كلّ إنسان، إن كنتَ حكيمًا. مَن كانت نفسه طاهرة وسلوكه نقيًّا، يتكلّم كلام الروح كلّ حين بعفّة. فبقدر ما تكون درجته، يتكلّم على الله وعلى الأمور الحاصلة عنده. والذي تُتعِبُ قلبه الأهواء، يتحرّك لسانه دومًا

---

(١٤) راجع **لو** (١، ٨٠). يمكن أن نجد «الروح القدس» في صيغة المؤنّث في التقليد السريانيّ. راجع: كليمنص حلو، «أنوثة الله في التراث السريانيّ»، **في وجه الله في التراث المشرقيّ**، أنطلياس، ٢٠٠١.

(١٥) راجع **تك** (٥٠، ١٠).

(١٦) راجع **يو** (٨، ١٢).

(١٧) راجع **نا** (١٣).

(١٨) ٢ **صم** (١٤، ١٦).

بواسطتها. وإن كان يتكلّم على الروحانيّات، فبوجع يتكلّم، وينتصر جورًا. فالحكيم يميّز هذا عند لقائه والطاهر يشتمّ رائحته الكريهة. المتكلّم دومًا بكلام اللعب والتلهّي هو زانٍ في جسده ونفسه. ومَن يكون أنيسًا له، فهو فاسق. وإن كان يتبعه ويخالطه فهو شريك الأوثان[١٩]. الحبّ الذي يهوى الصبيان هو زنى يحتقره الربّ ولا ضمادة لانكساره.

(١٠) أمّا الذي يثبت حبُّه ويكون هو هو تجاه كلّ الناس، فهذا قد بلغ الكمال، والشابّ الذي يصاحب شابًّا، فليبكِ عليهما أهلُ التمييز. والشيخ الذي يهوى ملاحقة الصبيان تفوق نجاسة أهوائه نجاسة الصبيان. وإن كان يكلّمهم على الأعاجيب، فإنّ قلبه يكون غارقًا في الحمى. أمّا الشابّ الهادئ، ذو القلب النقيّ من الغيرة والحرد، وهو منقطع عن كلّ إنسان والخاشع في نفسه، فعليه أن يفهم بسرعة أهواء الشيخ المرخي. الشيخ الذي لا تكون عنده الشيخوخة والصبوة واحدة هو بلا تمييز. ابتَعِد عن لقائِه كلّما استطعت. الويل للمرخيّين الذي يتنكّرون بالإسكيم المقدّس، فليبعدوا أهواءهم. مَن وصل إلى الشيخوخة بطهارة الأفكار والسيرة وبحفظ اللسان، يتنعّم، ها هنا، بحلاوة ثمار المعرفة. وعند خروجه من الجسد يقتبل مجد الله. لا شيء يبرّد نار الروح الذي يقدّس النفس مثل المخالطة والمؤانسة.

(١١) ما خلا ذلك مَن يكون مع أبناء أسرار الله لتربية معرفته وهدايتها، تؤدّي به تلك الرفقة إلى الحياة وإلى تلاشي الأهواء والأفكار السَمِجَة أكثر من كلّ الفضائل. لا يكن لك صديق وكاتم أسرار إلّا هذا، لئلا

(١٩) ١ قور (٥، ١٠).

تضع حجر عثرة لنفسك وتحيد عن طريق الله. ليكن كبيرًا فيك الحبّ الذي يوحّد بالله لئلّا يسبيك الذي غرضه فاسد. رفقة النشطاء تكون ليغتني الواحد من الآخر بالله. ورفقة الكسالى وأهل المَلَل تكون لملء البطن بالزائد عندما يتلهّى الواحد مع الآخر. المتوحّد يقلُّ طعامه عندما يكون وحيدًا ويصعب عليه كثيرًا أن يأكله من دون رفقة الآخر. ويقول: الويل لذلك الذي يأكل بمفرده، فإنّه لا يجد الهنا. وهؤلاء الكسالى يتبادلون الولائم وهم أوفياء في ذلك. آه من ذلك الحبّ النجس والفعل الطَمِث! فُرَّ يا أخي من معتادي هذه الأمور، ولا تأكل معهم، ولا تصادقهم. قبيحة هي مائدتهم، والشياطين يساعدون في إعدادها. مدعوّو الختن، المسيح، لا يذوقون منها. وليمة الطامع بالمأكل، فاعل شيطان الزنا، توسّخ نفس الوديع. وكسرة خبز يابس من مائدة نقيّ النفس تجليها من كلّ الأهواء. رائحة مائدة الشره الذي يقلي الطبيخ تُكرِّه أحشاء الأطهار. الطفل يُجتذب نحوه مثل الكلب نحو الجزّار. والمواظب كلّ حين على الصلاة، تفوق رائحة مائدته رائحة المسك. ومَن هو محبّ لله، يشتاق إليها كأنّها الكنز.

(١٢) المائدة[٢٠] التي يتكئ إليها الساهرون والزهّاد والصيّام، امضِ نحوها وخذ منها دواء الحياة، وانعش به نفسك الميتة. الحبيب هو متكئ بينهم ويقدّس مائدتهم، ليحوّل مرارة مائدتهم إلى حلاوته التي لا تُفسّر. وخدّامه الروحانيّون المرفرفون، يَحلّون عليهم وعلى غذائهم الطاهر. أعرِفُ واحدًا من الإخوة كان يشاهد هذا علانية. طوبى لمَن فطم فمه عن السعادة التي تجعله ينسى خالقه. فمن طوبى واحدة

(٢٠) مز (٢٣، ٥).

يأكل، من مائدة العليّ، من تلك التي تغتذي منها قوّاتُ النور. طوبى للذي صار غذاؤه ذلك الخبز الذي نزل من العلاء[٢١] وأعطى الخلائقَ الحياة، وبه تقتات العوالم في العالم الجديد[٢٢].

(١٣) طوبى لمَن أصبح في الامتزاج الذي يصنعه شراب الحياة الذي جرى من أجلنا من حضن الآب، وشخص إليه وهو يشربه، وسكر قلبه فرحًا. مَن يرَ ربّه في طعامه، تُشرق نفسه ويأكل ذلك وحده، ولا يشارك في ذلك غير المستحقّين لئلّا يأكله مَن هو معرّى من شعاعه. مَن يختلط بوليمته سمُّ الموت، لا يطيب له المأكل إذا لم يكن معه شركاؤه. إنّ الذئب[٢٣] المعتاد أكل الجِيَف، إنّما يفعل ذلك محبّةً ببطنه. لماذا أنتَ شرِهٌ أيّها الإنسان الجاهل لتملأ بطنك من مائدة المرخيّين، إذ منها تملأ نفسك كلّ الأهواء الشرّيرة. هذه التحذيرات تكفي مَن يقدر أن يقمع شرهه في زمننا المائع، مشتهي التلهّي والبطن، اللذين منهما يتولّد الهوى في النفس والنجاسة في الجسم. رائحة الصائم لذيذة، ولقياه يبهج قلب الذي يمارس التمييز، أمّا الشره فهو يخاف من المرافقة، ويرى حيلةً لكي يجد مَن يأكل معه. نظام الناسك يحبّه الربّ. ومَن هو مرتبط بالمقتنى، تصعب جيرته. والساكت يمجّده المسيح جدًّا. ومَن سَبَتْهُ الشياطين باللهو والتنزّه، لا يطيب للمسيح أن يثبت عنده.

(٢١) يو (٦، ٤١).
(٢٢) إنّ الصوم المباشر هذا هو في تحقيق التطهير من كلّ الأهواء، إلّا أنّ هدفه الأخير هو تأهيل الجسد للمشاركة في حياة النفس الروحانيّة، عبر ارتفاع الحواسّ إلى الروحانيّة وتحرّرها من المادّيّة.
(٢٣) أش (١٣، ٢٢).

(١٤) مَن لا يحبّك أيّها المتواضع الطيّب، إلّا المفتخر المفتري، الذي أنت غريب عن ممارساته! قال لي إنسان من خلال تجربته هذه الممارسات: «في اليوم الذي يكون لي فيه اختلاط بالآخرين، آكل ثلاث أو أربع قطع خبز. وإذا غصبتُ نفسي لكي تصلّي، فلا يكون لذهني رفيق، ولا دالّة عند الله، ولا أستطيع أن أشخص إلى أقنومه. وإذا انقطَعت نفسي إلى الهدوء، ففي اليوم الأوّل، إذا غصبتُ نفسي، آكل قطعة خبز ونصف قطعة، ومن بعد ذلك قطعة واحدة. وإذا ثبُت ذهني في الهدوء، أحارب نفسي لكي آكل قطعة واحدة، فلا أستطيع ذلك، بل بصعوبة آكل نصفها أو أقلّ من هذا، إذ إنّ ذهني يُكلِّم الله بدالّة وبدون انقطاع، بلا اجتهاد ولا اهتمام منّي، وضياؤه يشرق أيضًا عليّ، ويجتذبني لأنظر إلى حسن النور الإلهيّ، الذي أشرق عليّ، وأفرح به.

(١٥) وإن كان يحدثُ ويصادفني إنسان في تلك الأيّام، حتّى لو كان ذلك صباحًا ومضى، فلا أحتمل في ذلك اليوم إلّا أن آكل أكثر من الأيّام السابقة، وبالرغم من أنّي أجهد نفسي في الممارسة، تصبح صلواتي ناقصة وباردة. وذهني يبصر الضياء بتوان.

(١٦) يا إخوة، انظروا كم هو رفيع ونافع الثبات التوحُّديّ، وكم يؤمِّن السهولة للممارسات الزهديّة. طوبى لمَن ثَبُتَ فيه من أجل الواحد ويأكل قطعة خبز واحدة. فإنّه في كلّ ساعة يترافق مع الواحد، له المجد إلى أبد الآبدين.

الميمر الثاني[1]

في الإدراكات التي تشرق من الروح القدس نعيمًا للنشيطين، وفي الحروب بواسطتها وكيفيّة الانتصار[2]

(١) صلاة. يا نورًا من نور[3]، منير العالمين كلّها، الذي اعتَلَنَ من أجل خلاصنا، ليعلن أسرار خفيته للعوالم، ارفع غشاء الأهواء عن وجوه أذهاننا. وقلوبنا تصير نبعَ أسرارِك إذ نسلك في سُبُلِ نورك بلا عثرة، حتّى نصل إليك. يا مَن يَسْهَل له أن يجعل الخُرسَ مبشّرين له، فلينطق روحك بخفاياك في عقول المجانين، ليهتدي بواسطتهم الذين يرغبون في رؤيتك. آمين.

(٢) مَن يرغب في إيجاد الله، فأنا أيضًا أكون في عونه. ومثل دليل ومرشد

---

(١) **م ف س ٢٨٣أ-٢٨٤أ. م ح س ٧-٨.**

(٢) يبدو هذا الميمر مدخلًا إلى الميامر ٣ و٤ و٥ و٦ وقد وضعها المخطوط **(ڤاتيكان السريانيّ، الرقم ١٢٤)**، في مجموعة واحدة. والميمر الثاني يتضمّن خصائص المقدّمة، إذ إنّه يشير بوجه أو بآخر إلى مختلف الموضوعات التي تعالجها الميامر اللاحقة حتّى الرقم ٦ ضمنًا. فمن ناحية، إنه يتحدّث عن «الصعوبات والضيقات والآلام» التي يتعرّض لها المتوحّد، ومن ناحية ثانية «إلى العطايا التي تأتي من النعمة في أثناء عذابه لإسناد قلبه» وذلك ما تتحدّث عنه بإسهاب الميامر ٣ و٤ و٥. أمّا «التطويبات التي لا توصف والتي هو مزمع أن يصل إليها» فهي الموضوع الرئيسيّ في الميمر رقم ٦. وفي هذا الميمر أيضًا، يتحدّث يوحنّا الدلياتي عن «حفظ ما هو ضروريّ، خارج باب القلّاية»، وهذا ما يعود إليه بالتفصيل في ختام الميمر الخامس.

(٣) من قانون الإيمان النيقاوي.

للطريق، أنصح المشتاقَ إلى الحياة الثبات في القلّاية مع الانقطاع عن اللقاءات والمؤانسات: من دون الحفاظ على ذلك، تكون ممارسات المتوحّد باطلة. لأنّي أصوّر أوّلًا أمام عينيه الصعوبات والضيقات والآلام المريرة التي تُعرض له أثناء الهدوء، وكذلك حدّة الحروب، وأيضًا العطايا التي تأتي من النعمة[٤] في أثناء عذابه لإسناد قلبه. وأيضًا أكشف أمامه التطويبات التي لا توصف، والتي هو مزمع أن يصل إليها، إذا بقي ثابتًا ولم يعد إلى التشتُّت، على قدر ما تستطيع الكلمة الضعيفة أن تعبِّر عن أمر هو أعلى من عالمها. ولأنّي أنصح أيضًا بحفظ ما هو ضروريّ، متى وُجِدَ في عللٍ عارضة خارج باب القلّاية.

(٣) وعندما تثبت يا أخي داخل الباب مفضِّلًا الموت على ترك القلّاية، حينئذ يحرّك الروح القدس كلّ ما تريده الرتبة الوحدانيّة داخل نفسك. والملائكة تقودك إلى الميناء الهادي في كلّ ما هو خاصّ بتدبير الهدوء، وهو التالي: الصوم المنظّم الذي يفترض عدم الشبع، والطعام الحقير، والسهر المضيء، الذي يرذل النواميس المختصرة ويرجو الموهبة التي تأتي من الربّ، والقراءة الحارّة التي تليق بمنزلتك وبهذيذ أفكارك وعمل قلبك، واتّضاع القلب، والدموع المتوجّعة، والصلوات والسجدات الطويلة والتمرّغ على الأرض. وتستطيع متى تريد أن تصل إلى الكمال في هذه الممارسات وأن تحقّقها براحة، أعني بواسطة النعمة التي تفعل فعلها في أفكارك وتشدّ أعضاءك. وأيضًا تظلم أفكارك وتضعف أعضاءك بسبب التجربة التي تُدبَّر لك، وتقطع كلّ فضائلك وتبطلها.

---

(٤) راجع روم (٥، ١٥).

الميمر الثالث[1]

في شيطان الزنى وفي ماسك الأعضاء العُمْيان،
ماسك الظلمة، وفي تبدّل تجاربها والحيل المضادّة[2]

(١) صلاة. أيّها الشعاع الممجّد الذي أشرق لنا من حضن الآب، الذي بواسطة حُسنِك تسبي، أكثر من الكلّ، رغبة محبّيك إليك. كُن في عون عبيدك الضعفاء في زمن جهادهم، وابدل بحركات رغباتهم الرغبةَ فيك. آمين.

(٢) أيّها الإخوة، لا يتذمَّرنَّ إنسان منكم لعدم صبره في زمن شدّة التجارب، بل يطرح همّه على المعتني بحياته ويقول: «يا رجائي ومتّكلي، دبّر حياتي بحسب مشيئتك. طعم المرارة التي تريدها أنت

(١) م ف س ٢٨٤أ-٢٨٤أ، نشرة كوليس ص ٢٣، م ح س ص ص ١٥-١٩.

(٢) إنّ هذا الميمر أساسيّ في تعليم يوحنّا الدلياتي الروحانيّ، إذ إنّ الشيطان يبدأ قتاله عبر النطق في النفس بالأفكار الفاسقة ويُبدِّل برغبتها السامية رغبةً حنِقَة (مقطع رقم ٢). هذا الشيطان هو شيطان الزنا الذي يتحدّث عنه الميمر بإسهاب. ما يعبِّر عنه يوحنّا الدلياتي هو قريب من تفكير أواغريوس الكاتب الروحانيّ في هذا المجال. راجع مقال Antoine et Claire Guillaumont, *article Démon*, *D.S.* fasc. XVIII-XIV, col. 200.

إنّ الشيطان يهاجم في الراهب الرغبة الإنسانيّة البشريّة، حيث يحوّلها إلى شهوة، في حين أنّ الترتيل العذب وكذلك الصوم المرتّب يطفآن نار الزنى. في هذا المجال راجع: Robert Beulay, *l'Enseignement spirituel de Jean de Dalyatha*, Editions Beauchesne, 1990, pp. 154-158.

أحلى لي من شهاد العسل التي أريدها أنا». وحين ينطق شيطان الزنا في النفس بأفكار فاسقة، ويبدِّل برغبتها السامية رغبةً حَنِقة، فإنّ ما يخمد حدّته هو ترتيل اللسان بحلاوة الألحان، وعند المبتدئين نقصان الغذاء وشرب الماء، وانسكاب القلب أمام الله والصراخ الخفيّ.

(٣) إنّ حِيَل هذا الشيطان هي الأقوى بين حِيَل شياطين الزنى: أحيانًا يرخي الأعضاء، وأحيانًا يُعصِر القلب، ويَخنُق النفس، ويضعها في الظلمة بعيدًا عن كلّ التعزيات، ويجعلها باردة أمام كلّ صلاة وترتيل وقراءة، ويملأ الإنسان كسلًا، وأحيانًا يمسك الرأس بألم عظيم. تعاطَ مع هذه الأمور بالصبر والتسبيح في القلب، إن كنتَ جالسًا أو منطرحًا وليس لك القوّة على الوقوف، ولا تجعل نفسك ترتاح بالتنزّه خارج القلّاية لأنّه(٣) سريعًا ما يذهب. وأحيانًا يمسك الجسد فيؤلم سريعًا وبقوّة. وأحيانًا يطنُّ في الأذن، فيظنُّ الإنسان أنّ روحًا استقرّ فيه، إن هو لم يكن معتادًا على القتال.

(٤) إذّاك على الأخ أن يكون حذرًا وأن يتنبّه من أفكار الزنى التي يزرعها. وقتاله يكون في الأذن اليسرى، في حين يسمع بالأذن اليمنى أصواتًا غير معروفة. وإن كنتَ تسدّ أذنيك تسمعها. فالأصوات التي هي من اليسرى بهذا المعنى الذي قلنا، لا تُسمع عندما تضع أصابعك في أذنيك. إلّا أنّ الشيطان، ماسك الأعضاء، يغنّي فيها أصواته التافهة غير المعروفة: مثل تلك التي تسمعها الأذن اليمنى، وهي تُسمع أيضًا في الهواء. هذا تسمع أصواته في كلّ أذن

(٣) أي الشيطان.

تطنّ، والمبتدئون غير المعتادين يتّكلون عليها، ويعتقدون أنّ تلك الأصوات النجسة، التي تصفّر بأنواع مختلفة، هي لذيذة.

(٥) ذلك هو الشيطان ماسك الأعضاء الذي يبدّل قتاله بحسب القياسات. فأحيانًا يسقط على إنسان في نومه فيمسك أعضاءه ويخنق النفس. فمتى يحدث لك هكذا لا تجتهد لصدّه بقوّة، لئلا يضيّق عليك بشكل أقوى. بل سكّن نفسك وادعُ المسيح في قلبك لمساعدتك. وعندما تتنبّه أنّ هذا الشيطان اقترب منك، تشعر بأنّه يشرق أمام عينيك مثل شعاع نار، أو تشعر بخوف ما يُطرح في نفسك عند مجيئه، أو بثقلٍ يَنصبُّ عليك في الخدمة فتتركها وتنام، أو عندما تكون نائمًا، تستفيق أعضاؤك إذ تبسط رجليك وتمدّدها، أو يتحرّر منك ملاك النوم منذ العشاء، ويخفُّ جسدك وذهنك بالسهر. فمتى رأيت واحدةً من هذه العلامات، حاذِر لئلّا تتهاون وتنام، فيدعك الحافظ في يديه.

(٦) وإن لم تستطع أن تحتمل من التعب، اخلُد إلى النوم وأنت جالس، لئلّا يهاجمك بلا شفقة. هذا على الأغلب يلقيه على الأخِ جُندُ الشياطين، ويلقونه من بعيد مع الرغبة في الأكل أو في شهوة ما. وهذا يدوم عنده أيّامًا عديدة. ومتى تجاوب مع الرغبة، يضايقونه من دون رحمة، وأيضًا يُرسلون تجربة الزنى إلى الأخ، وتنبثق من ذهنه، بلهيب، الرغبة النجسة، متى قَدَّم إنسانٌ الطعام إليه. وترى فكرك مستعجلًا لكي تأكله سريعًا. تبصّر أيّها الأخ، صاحب القلب الفتيّ، لا تذقه. فسمُّ الموت مطمورٌ فيه يشدّك إليه. لا تأكل لئلّا يعذّبك بواحدة من هذه التجارب أو يخرجك من الحياة الزمنيّة.

(٧) هوذا قد حذّرتُك يا مَن طمر له قاتلُه الطعمَ في الفخّ، وحذّرتُك أيضًا من الأخ الذي خضع بإرادته لشيطان الزنى وسباه حقًّا. تتبع الإنسانَ

هاتان التجربتان اللتان تحدّثنا عنهما. وأحيانًا يقع على العينين والأذنين والمنخارين والشفتين ويأخذ في الحكاك. وأحيانًا يدخل في الفم أو في الأذنين أو في المنخارين ويوجع. وإن لم تشعر به قبل أن يقترب منك، ارسُم إشارة الصليب فتطرده(٤). ولكن، إذا ما دخل بواحدة من حواسّك، فحينذاك تشعر به بوجه قاسٍ. ارسُم بفكرك إشارة الصليب في المكان الذي يؤلمك. هكذا بقوّة المسيح يُخزى ويذهب وإن كان يعصر القلب، افعل كما فعلتَ سابقًا فيهرب. وعلى كلّ موضع يضايقك في جسمك أو في واحد من أعضائك، ارسم إشارة الصليب وضع يدك عليه بقوّة فيذهب. وأيضًا يدخل في عضو الشهوة وبقوّة يعذِّب بدون رحمة، وبمثل ذلك يَخزى كما قلنا سابقًا.

(٨) عظيمة هي القوّة الكامنة في أسرار المسيح التي تتراءى لمحبّيه! قال لي أخ صادق: «أحيانًا عندما أقبّل الصليب، يشرق منه كوكب النور الممجّد العجيب أمامي فيبتهج قلبي(٥). وعندما أمدُّ يدي وأرسم الصليب أمامي في الهواء أو على جسدي أراه ينطبع شبه نورٍ لا يوصف. وإلى جانب هذه الرؤيا المدهشة يتحرّك الفرحُ في قلبي، هذا الذي لا تستطيع قوّة أن تثبت أمامه». وقال لي: «إنّه بصعوبة عظيمة تثبت الشياطين كلّ ما رُسِمَ الصليب في اتّجاههم، كما رأيتهم بنفسي يتعذّبون بسببه زمنًا طويلًا، وشكرتُ ربّنا». وقال أيضًا عن أسرار جسد ربّنا ودمه: «عندما كنتُ أتأمّلها على المذبح، أو عندما كنت آخذها بيديّ، كانت تختفي جسميّتها وأراها شبه نورٍ مجدِ العظمة. فطوبى هذا المنظر، يتلذّذ جميع محبّي المسيح. آمين».

(٤) إشارة الصليب أو رسم الصليب هي من الوسائل الأساسيّة لدفع الشيطان إلى الوراء والانتصار عليه. راجع Robert Beulay, *l'Enseignement spirituel*... pp. 156-157.

(٥) مز (١٣، ٥).

[المجد لمَن تُشرق خفيّة مجده وفعل قوّته بواسطة أسراره لتعزية طالبيه آمين].

(٩) يا ربّنا يسوع المسيح، أفِض حكمتك على عبيدك، في أثناء تجارب الشياطين المردة، وهب لهم معرفة حكمة ربوبيّتك، والبسهُم قوّتك القدّوسة التي بها يذلّون تعالي الشياطين، وينتصرون بكلّ قتالاتهم، آمين.

(١٠) يصعب عليّ أن أعدّد حِيَل هذا الشيطان النجسة، لئلّا أصبح عارًا لدى المستمعين. يتلوّى على الفخذين والبطن والظهر مثل الحيّة. وأحيانًا يوقد فيها النار أيضًا. هنا يُعرف ضعفه، فلا تَخَفْ منه. وشبه العقرب يضرب الجسم، وشبه الزنابير والذباب والنمل يدخل إلى الحضن، ويعضّ الجسد ويضعفه في بعض الأماكن. وإن كنت جالسًا أو إن كنت تقوم بالخدمة وتحرّك شيطان الزنا، وأزعجك، امشِ قليلًا فيذهب، أو أهرق بعض المياه على رجليك فيهدأ. ويريك خيالات أمام العينين على شبه الظلّ والشعر والذباب ويقع على الرقبة والوجنتين فيوجع شديدًا. ويقع على الأعضاء التناسليّة ويحكّ بلا شفقة، ويُرطِّب الحاجبَيْن مع اللحية، ويتشبّه بالجذام وأحيانًا الأرض نفسها يحرّكها تحته.

(١١) لا أحد، عندما يسمع تقديس الروحانيّين ومناغياتهم اللطيفة، يظنّ أنّ صوتًا منها ليس سماويًّا. مع ذلك يسخر هؤلاء الشياطين النجسون منها. أصوات هؤلاء تُسمَع من خارج الذهن مع الآذان كما يُظَنّ، بالهواء وأيضًا بالآذان. وكلام الروح القدس في النفس إحساسٌ يتحرّك من الداخل في مخدع القلب وهناك يكتمل كلام النفس بأقنومها وهناك يُشعَر بمناغيات الكائنات الروحانيّة وتقديساتها. وما

إن يراها الذهن كما هي في روحانيّتها، وينبسط معها ويتوحّد بها حتّى يتعلّم تقديسها وتقديساتها. شيء عجيب أنّه بالرؤيا الإلهيّة لا صوت ومناغياتها هي حركاتها المدهشة. أعني أنّ أقنومها يتحرّك كلّه بالروح البارقليط، على شبه غليان نورٍ ما، لا يوصف. [ولكن قبل أن تراها رؤية صحيحة في مجد كيانها، وفي بلدتها الحسنة التي هي مجد الله. لا تأمن سماعها إذا لم ترها هذه الرؤية وإذا لم يحقّقها لك جميع الحكماء].

(١٢) ها قد وضعنا شرحًا بشأن أصوات هذا الشيطان الماكر. وحيله الكثيرة الشديدة لا تُكتب كما قلنا. فمتى أمسَكَ بأحد الأعضاء، بألم يضايق الإنسان إلى درجة تقترب معها النفس من مفارقة الجسد. بالضربات يعذّب، ويُظهر مناظر مخيفة وناريّة. إنّه يقاتل بهذا القتال الناظرين، وترى مثالات أشخاص روحانيّة بدون تركيب. ويقاتل المبتدئين في النوم واليقظة بمثالات صنميّة وبما شرحناه سابقًا، وبالنوم الكثير وزيادة الأكل التي تصلح لفعله. وإذا ما أحسستَ برائحة تدخل إلى منخاريك، اعرَف أنّ شيطان الشراهة قد اقترب منك ليحاربك. واستَخدِمْ في ذلك اليوم نقصان الغذاء وإضعاف الجسد.

(١٣) وإذا تسمَّجَت نيّتُك وتوحّشت، أو إذا ما فاحت عليك رائحة نتنة زَفِرة عندما تكون وحدك، يكون شيطان الزنى قد اقترب منك وأخذ في العمل. أو إذا أتى نحوك إنسان، يكون هذا الشيطان قريبًا منه وملتصقًا به ويأتي أمامه. ومتى ضَعُفَ جسدك وذَبُلَ بالصوم أكثر من العادة من جرّاء ممارساته، وذاب وتعب، إذذاك يمسكه شيطان الزنى ساخرًا. تنبّه إلى الغذاء الكثير والمُدهِن في ذلك اليوم، وإلى الطعام

المطبوخ والخضراوات. ومتى رأيتَ أنّ جَسَدَكَ أمسكه البرد على غير عادة، اعلَم أنّ شيطان الزنا قد أمسكه ليهلكه. واحترس من تناول الشحوم ومن النوم.

(١٤) وإذا لدغ جسدَك شيءٌ مثل أُكال وزواحف وحكّك بشكل لا يطاق، فهذا يعني أنّ شيطان الزنا قد لبسه ويؤلمه. ومتى بَرُدَت معدتُك وآلمك بطنك على غير عادة، لا تعطِ جسدك الشحم والدهن لئلّا يجد الشيطان لفعله مادّة. وكم عليّ أن أصف حِيَلهم! لكن أنا صامت عن هذه، لئلّا توبّخني نفسي ويذمّني الآخرون. إذا ذكّرك الشيطان بهذه النتانة، أو بالأعمال أو الرؤى أو السماع الذي يوقظ الشهوة، ارذِله بغضبٍ ووجِّه إليه الشتائم النجسة التي يستحقّها، فإنّه من خزيه يهرب. وهكذا تصرّف معهم عند كلّ فكرة تأتي منهم. لكن لا تتصرّف هكذا دومًا، لئلّا يتعوّدوا إبطال ذكرك لله ونظرك الدائم إليه. قابلهم بجواب، لأنّ مثل هذا النوع يضعف بجواب يخزيه أكثر من كلّ الأعمال فيذهب.

(١٥) عظيمٌ هو ذكر الله[٦] لاضمحلال هؤلاء الشياطين وبذور شرّهم، أكثر من أيّ عمل. شيطان الزنى هذا يسبي ذهن الأخ من الدالّة عند لقائه النساء والصبيان والشبّان والإخوة المرخيّين، ويخضعه لمشيئته بدون مشيئته. إحفظ نفسك من هذه، وهكذا لن يكون له قوّة لمحاربتك. فبدون ذكر الله ومعونته ليس لك أن تنتصر عليه. المجد للربّ إلى أبد الآبدين، آمين.

---

(٦) «ذكر الله» من المحطّات المهمّة في تاريخ التقليد الروحانيّ المسيحيّ، وله أهمّيّته القصوى في تعليم يوحنّا الدلياتيّ وذلك في الرسائل والميامر.

الميمر الرابع[1]

ميمر في الشيطان المجدِّف وكيف تكون حيله وتجديفه،
وفي أنّ الإنسان لا يخسر أمامها
إلّا أن يصل إلى قطع الرجاء ويشعر بحزن شديد،
وكيف يُصَدُّ بجواب[2]

(١) صلاة. يا صانع الكلّ وأساس العالم كلّه، يا مَن بحكمته خلق كلّ شيء لتدبير حياتنا. وبأسراره جدَّدنا لنكون أبناء ربوبيّته، فتُقدَّس أقداسه في قدس أقداس هيكلٍ سكناه الناطق. يا ربّ بقوّتك العظيمة انصر الكلّ. أُلجم فم المارد عن الكلام بالملامات على أنفس عبيدك، وبالتجاديف عليك وعلى أسرارك وعلى تدابيرك، وارفع أذهانهم إلى بلد معرفتك، حيث لا تهبّ رياح الشكوك، آمين.

(٢) هذا الشيطان المجدِّف يكلِّم النفس بملامة الله وبالتجاديف والشكوك

---

(١) م ف س ٢٨٩أ-٢٩١أ؛ م ح س ١٩-٢٢؛ نشرة كوليس ص ٢٨.

(٢) هذا الميمر مكمّل للميمر الثالث. الشيطان المجدِّف أو شيطان التجديف هو الذي يجعل النفس تنطق تجاديف في وجه الله وأسراره ومريم العذراء الكلّيّة القداسة. إلّا أنّ يوحنّا يؤكّد أنّ حيلة الشيطان المجدِّف تقضي بمزج تجاديفه بأفكار النفس ممّا يوقع النفس في الضيق ويجعلها تعتقد أنّها هي مصدر تلك التجاديف. إلّا أنّ تلك الكلمات ليست من النفس وعلامة ذلك الضيق الذي تقع فيه. يحذِّر يوحنّا الراهب الوقوع في فخّ الضيق وقطع الرجاء ويدعوه إلى اعتماد الطريقة الجوابيّة بحيث يتمّ شتم الشيطان بكلماته هي هي.

بالأسرار الإلهيّة، وبالبتول القدّيسة والدة الله مريم. ويعتقد الإنسان أنَّ نفسه تتكلّم بهذه التجاديف القبيحة، فَتَيْبَس عظامه من الضيق ويتعب. لا تضطرب يا أخي، ولا تتعذّب بهذه، لأنّ نفسك لن تسقط من الله كما تعتقد ولن تتنجّس، لأنّها ليست هي التي تتكلّم بهذا، بل هي تسمعها سماعًا من الشيطان الذي يُكلِّمها. ولأنّها لا تريدها، بل تغتمّ بسببها، اعرف أنّها ليست منها، والنفس لا تتعذّب بأفكارها، بل بتلك التي يكلّمها بها الشرّير.

(٣) ومتى بَطُلَت تلك الكلمات، تنفرج النفس وتتنقّى وتنجلي وتتنوّر. وتثبت بلا عيب متى تسمعها، أعني متى تشعر بتجاديفه في أفكارك. رُدَّ عليه تجاديفه بكلمة لكي يضعف وإن كنتَ وسط كثيرين، جاوبه بأفكارك فتُسمعه النعمة كلّ ما يضادّه. أيّها الشيطان، فَلْيبكّتك الربّ. وهكذا افعل بكلّ الأفكار التي تأتي من الشياطين. لا يفطنون بالأفكار النقيّة، كما أراني الربّ بواسطة رؤيا الروح.

(٤) حِيَل هذا الشيطان المجدّف اكتُبها لتعزية الذين يتعذّبون بسببها. رؤية هذا الشيطان المنافق سمجة لرائحته ومنظره، أكثر من رؤية جميع الشياطين النجسة. وهذا الشيطان يتبع الأخ بكلّ أوقاته، ويجدّف عندما يصلّي وعندما يرتّل، وعندما يقرأ وعندما يسبّح، وعندما يقدّس الأسرار المحيية وعندما يتناول، وعندما يسمع هذا كلّه: عندما يردّد ذكر الله ويسمع مَن يردّده، وعندما يرى أعمال الله، يتبعه وعلى صانعهم يجدّف.

(٥) وتعبّر أصوات تجاديفه في النفس، فتنزعج وتتضايق. لأنّها تظنّ أنّ حركاتها هي تلك التجاديف العظام. حاشا. هذه ليست منها، بل تسمع شتم سيّدها الذي تسجد له وتطلب الرحمة منه دومًا. تسمع

ويصعب هذا عليها. ولأنّ تسابيحها تختلط بتجاديفه، تظنّ أنّ التجاديف هي تسابيحها. ليس هكذا. لا تُحسَب تجاديف وإن اختلطت بها. إن وجد الاثنان معًا، واحد يجدّف والآخر يبارك ويسبّح، وتختلط أصواتهما معًا، لأنّهما مترافقان، فلن يحسبا معًا من العارف بكلّ شيء. فإنّ النفس الملتصق بها شيطان التجديف هي هكذا، ولأنّ تسابيحها مختلطة بتجاديفه، نظرًا إلى التصاقه بها، تظنّ أنّ تسبحتها هي تجديف، وأنّها تُغضب الله إن هي تسبّح وتصلّي. لأنّه كلّ مرّة تريد أن تسبّح، يخطفها نحو تجاديفه.

(٦) سبّحي أيّتها النفس الحبيبة من دون انقطاع[٣]، إنّ سيّدك سوف يميّز تسابيحك المُحبّة والنقيّة من تجاديف الغشّاش، التي تختلط بها وتمتزج. فهي، بالنسبة إليه، غير مختلطة، ونقيّة وقدّوسة وبلا عيب. حيّ هو الربّ. أنا أكتب كما أراني وكما طُلب إليّ أن أكتب. إنّي رأيت الشيطان الشرّير هذا الذي يلتصق بنفس الأخ ويجدّف بنفاق عظيم ومتعدّد. ورأيت النفس التي هي بلا عيب ونيّرة أكثر من الشمس. لكنّها كانت خائفة مرتعدة، في صعوبة وضائقة، وفي قلبها مرارة وتطلب الموت. وتهيّج جسدها من حزنها وتبشّع لونها لأنّها لا تعلم ممَّن هي تلك التجاديف.

(٧) إنّها ليست منك أيّتها النفس. لا تضيقي ذرعًا بتجاديف الشرّير المختلطة بتسابيحك. فتراتيلك وتسابيحك ليست تجاديف كما أنت ظننت. ولن تخسري أنت بسببها إن انتبهت إلى الحيلة الأخرى التي يحتال بها المنافق لإهلاكك. يمزج كأسًا ممتلئة صبرًا ومرًّا ويعطيك

(٣) مز (١٤٥، ٢).

سمّ الموت لتشربي، وهو سمّ الضيق وقطع الرجاء.

(٨) لكن لا تقتربي أيّتها النفس ولا تتذوّقي منه. إملئي قلبك فرحًا برجاء رحمة سيّدك وفمك باعترافه، لكي يعود هو فيشرب مزيجه المرّ، ويتعذّب ويحترق من غضبه، كونه رأى عمله قد أبيد، لأنّ هذه هي الثمار التي كان يأمل أن يحصدها: فإنّه يعرف أيضًا أنّ النفس لن تتضرّر من تجاديفه، إن هي لم تقبل الضيق وقطع الرجاء.

(٩) هذه الأمور أراني إيّاها الربّ بنعمته، أنا النجس أكثر من أيّ بشريّ. وأَذِنَ لي أن أكتب. فمَن سمع وآمن يبتهج قلبه بالربّ ويتخلّص من المبغض. ومَن لا يؤمن فليحتمل جهنّمه داخله كما يحبّ. مَن لا يقبل الضيق وقطع الرجاء في هذه التجربة، لا يسقط من الله كما ظنّ فقط ونفسه لا تتوسّخ. بل طوبى له لما هو مزمع أن ينال عطايا من الربّ عوضًا عن ضيقه، هذه العطايا التي ليس لي أن أتكلّم عليها هاهنا. بل لا يستطيع لابسُ جسد أن يترجم أسرار الروح ولا الروحانيّون كذلك، في العالم المحسوس. الروح وحدَه يستطيع أن يوضح لنا أسراره في عالمنا وللروحانيّين في عالمهم. لكنّ الروحانيّين، بموجب روحانيّتهم، يستطيعون توضيح الأسرار في عالمهم، مثل عالمهم الممجّد والعجيب الجمالات، الذي نستحقّه كلّنا بنعمة المسيح ابن الله، آمين.

الميمر الخامس[1]

في الغضب والطياشة والضيق والكبرياء[2]

(١) صلاة. أيّها الصالح الذي لا يغضب، يا مَن يحمل بواسطة طيبته كلّ سيّئاتنا بدون كلل، املأ قلوبنا سلامًا وحبًّا بدون تمييز، والشرّير لن يستطيع أن يعكّرهما.

(٢) شيطان الغضب هذا مظلم وفعله مرير. يذكّر النفس بأعمال حصلت في السابق، أو بأعمال ستحصل، أعني أنَّه يوقظ الغيظ ويسقي النفس الغضب ويُسكرها. فليس بهذا تتنجّس النفس، إن لم تخرجه إلى العلن بواسطة اللسان فيتعذّب الإنسان، حتّى ولو كان الشرّير يؤلّف الكلام ليُسمِعَ ويُعكِّر، وحتّى ولو كان يذكّر بالأعمال لاستثارة الغضب. وأحيانًا يخطف الشياطين الذهن، ويجعلونه يتيه من قرية إلى قرية، ومن بيتٍ إلى بيت، ويجعلونه يتذكّر الجنس والوجوه

(١) ح ف س ٢٩١أ-٢٩٢ب؛ م ح ٢٢-٢٣؛ نشرة كوليس ص ٣٠.

(٢) إنّ هذا الميمر يركّز بوجه خاصّ على شيطان الغضب والطياشة والكبرياء، «ذي الفعل المرير» الذي يذكّر النفس بأفكار حصلت في السابق أو أنّها ستحصل. إنّ المتوحّد لن يفقد نقاوة نفسه في أيّ حالة، إلّا إذا ترك هدوء القلّاية والاستمرار في صلاته. ويعمل الشيطان على محاربة المتوحّد على مستوى القلب، حيث ذكر الله، إلّا أنّ التواضع وجمع الأفكار من شأنهما إبعاد الشيطان عن غايته عن القلب بالتمام.

والكلمات والأعمال ويظهرونها لعقله. وليس بهذه يصيبه ضرر، إن يثبت في الهدوء ولا يتيه بالجسد، بل إنّ النعمة والملائكة توحّده بذاته وتنقّي عمله.

(٣) وأحيانًا يسكبون على القلب الحزن والانعصار، ويحرّضون أفكاره: «أخرج لتتعزّى قليلًا عند رفقتك، وخفّف عنك الشدّة». طوبى لمَن يلقي همّه على الربّ، ويرجو منه العزاء في كلّ شدائده، ولا يروّح عن نفسه بتعزيات الأنس والتنزّه مع الآخرين. فالعزاء الذي من الربّ لا يخلط نفسه بالتعزيات الخارجيّة.

(٤) وأحيانًا تمجّدك الشياطين في أفكارك، وتزرع في قلبك الكبرياء، لأنّك ترسّخت في الهدوء، ولأنّك تدرّبت في القتال، ولأنّك اكتسبت الفطنة ومعرفة الأفكار. وليس بهذا ستحمل ثقلًا وتتبلبل مثل غير المدرَّب. لكن ادع الربّ لمساعدتك، وتذكّر أنت نقائصك، وواضع نفسك بالمعاملة القاسية، فينهزم المبغض وتتواضع أفكارك، وتقتني سلامًا وديعًا، ويصفو قلبك.

(٥) فإذا عرضت لك يا أخي واحدة من هذه الحروب التي وضعناها، لا تتعذّب بسبب ترك القوانين. عظيمٌ هو أجر الثبات في الحروب أكثر من الأعمال الفاضلة التي تجد كمالها في وقت الراحة. ولا تحتال لتطلب لك نزهةً إلى الخارج، ولتهرب من الثبات في الجهاد، الذي من أجله تُعطى مواهب الروح. محاربة الأفكار الشنيعة بمواظبة حياة القلّاية النسكيّة خيرٌ من التقديس النقيّ خارجها وجمع الأفكار، لأنّ هذا يتبعه برودة الحركات وموت النفس، في حين أنّ الأولى يتبعها الغلوة الناريّة وفرح القلب.

(٦) وإن عرض لك، بدون إرادتك، أن تخرج من القلّاية للاختلاط بالآخرين في الطريق أو في أعمال معيّنة، انتبه من الدالّة والرفقة، وكذلك من التنزّه وطياشة الأفكار حتّى الفضلى والقدّيسة. إشفق يا أخي على نقاوة نفسك التي اقتنيتها بدمك على مرّ الزمان، لكيلا تهلكها في ساعة واحدة، ويذهب منها صنيع الروح القدس بالكلام والتنزّه. هدّئ لسانك عن الكلام، وحرّك قلبك بعملك الخفيّ، إذ تحلّ النعمة عندما تفتقدك في قلّايتك، وعندما ترى ثباتك في موضع صعب التحفّظ. فتهبك بهجة القلب أكثر من الهدوء في هذيذك. إحترس ألّا تحلّ قلبك من ممارسة البكاء، قبل أن تحلّه النعمة من الأهواء.

الميمر السادس[1]

في زيارات الروح التي تُعطى المتوحِّدين[2]

(١) صلاة. أيّها المسيح الكلمة، لباس الآب، يا مَن يستريح فيه نظر الناطقين، في جميع أعمالهم، لتمام رؤية أبيك المخفيّ فيك، أضئ نورك في أذهان طالبيك، ليعاينوا بها أسرارك المخفيّة في عمق حكمتك، التي لا تقع أسيرة الصُوَر والأسطر. آمين.

(٢) من الآن وصاعدًا سأشرح لك يا أخي من أين وبماذا تبتدئ نعمة الروح لتطهير نفسك بواسطة الملائكة القدّيسين، إن كنتَ تطيعه وتثبت في الوحدة بجهاد الأعمال والمعارك، وبماذا تتطهّر نفسك وتنجلي، وبماذا تتقدّس وتتنوّر لقبول المواهب والاستعلانات وإدراك الأسرار الإلهيّة، وبأيّ أماكن يقتني الذهن الإدراك والمعرفة عندما يعبر فيها، وبماذا يُؤخَذ، في العَجَبِ العميق، عند رؤية النور،

---

(١) **م ف س** ٢٩٢ب-٣٠٤أ؛ **نشرة كوليس** ص ٢٠-٢٣؛ ٤٠-٤٢؛ **م ح ع** ص ٨-١٥.

(٢) هذا الميمر هو الأخير في المجموعة من ٢ إلى ٦. بمجمله يتحدّث عن أفعال النعمة التي تُعطى المتوحِّد بوجه منفعل والتي من شأنها أن تطهِّره وأن تنيره وتقدّسه، وعلى مستوى درجة الكمال، أن تقوده إلى الاتّحاد بالله. في هذا الإطار، يبدو هذا الميمر مركزيًّا في تصوُّر يوحنّا الدلياتيّ للحياة النسكيّة. ويشار إلى أنّ الدلياتي يتأثّر هنا بصورة غير مباشرة بكتابات الأنبا أشعيا ومكاريوس المزعوم.
حول أهمّيّة هذا الميمر وتعليم الدلياتيّ النسكيّ، راجع: Robert Beulay, *l'Enseignement spirituel... op.cit.*, pp 146-151.

بحيث يُسلَب منه الإدراك والحرّيّة وينسى ذاته.

(٣) وعندما تحلُّ النعمة على المتوحّد في البداية، تُفعِّل فيه الإدراكات والنياحات والتعزيات غير المعروفة، وشيئًا فشيئًا تنمّي ذهنه بالنياحات والافتقادات والمناظر والاستعلانات، حتّى يقيم في غمام النور الجوهريّ، من دون أن يستطيع العبور من هناك، وحتّى يرى فيها أشعّة النور التي تُشرق عليه من الجوهر، فيستضيء بها. وبهذه الأشعّة يتعالى ويدخل، يومًا إثر يوم، بقدر همّته وحفظه، من مجدٍ إلى مجدٍ آخر، بواسطة الربّ الروح، وبتبدّلٍ يُشبَّه بالمثال الذي لا مثال له، باتّحادٍ وخُلطَةٍ تامّة بالله، ورؤيةٍ ومعرفةٍ مجده الذي يعلو العالمين، والذي يُرى ويُعرَف بواسطة اللارؤية واللامعرفة.

زيارات المنزلة الأولى

(٤) هي المنزلة حيث تزرع النعمة اتّضاعًا في قلب المتوحّد، وتضع أفكاره تحت التراب والرماد، وحيث تثير الدموع عند ذكر خطاياه، وحيث تلذّذ الترتيل في قلبه، وتعطيه خفّة ولذّة في خدمته المتواصلة، وحيث تحبّب في عينيه السجدات المتواترة وتحرّك فيه إمّا حركات موجِعَة متواضعة، وإمّا حركات الفرح والدالّة، وحيث تعزّيه بالأحلام. ومن هذه على المتوحّد أن يكون حذرًا، حتّى ولو كانت عجيبة جدًّا، بسبب الخصم، وحيث تحرّضه على ذكر القدّيسين وأعمالهم وممارساتهم الفاضلة وتعطيه الحرارة للتشبّه بأعمالهم، وحيث تحقّره بذكر سيّئاته، إذ إنّها تحمّلته كثيرًا واعتنت به مثل المربّية الشفوق. وعلى ذكر هذا، تجعل دموع الألم والفرح تفيض.

(٥) إذذاك، إذا كانت النعمة لا تُسند قلب المتوحّد، تذهب نفسه من

الحميّة وكثرة الدموع. [إنّها المنزلة] حيث تعطيه النعمة التسابيح المتواصلة والتلذّذ الذي يوجد فيها، وحيث تحبّبه بالقراءة الدائمة، وتخلط بها دموعًا أو لذّة، وحيث تحرّك في ضميره تدبير ربّنا، فيتّضع ويبتهج أو تثير فيه الألم فيسكب دموعًا متوجّعة تنسكب بغير كيل من حدقيّته، وحيث تعطي له محبّة الأعمال التي تكون لراحة إخوته، وحيث تهبه صمتًا ليضع حدًّا للحركات الشهوانيّة، وحيث تحرّك في قلبه شفقة على المتضايقين وخدمة المرضى.

(٦) بهذه الأمور تُطَهِّر نعمة الروح وتجلو نفس المتوحّد المبتدئ ونفسَ مَن يعود من غفلته ومن أعماله السَّمِجَة، وتقرّبه نحوها ويضع ذاته تحت نير طاعتها. [إنّها المنزلة] حيث تكمّله النعمة بهذه كلّها بسبب اعتنائه، وحيث تعمل فيه النعمة أحيانًا بجزءٍ من هذه الأمور، لكن لا بصورة مستديمة، وربّما تزورُه بواحد منها. وأيضًا تأخذ منه فعلها، وهي مخفيّة فيه بغيرِ عمل، لينقمع بالتجارب ويتدرّب. وتثور عليه الضيقات والشدائد والأوجاع المختلفة، ويتبع ذلك ظلام النفس والملل وبرودة الحركات، والسحب والضباب والانقسام وقطع رجاء حياته. وينزلق في الزلّات إذا لم يكن حذرًا. وهو يظنّ أنّه لن يدرك الراحة التي أُخذِت منه. ويعود إلى نفسه متسائلًا: ترى، بأيّ زلّاتٍ فقدتُ راحتي؟

(٧) أسنُد نفسك يا أخي، ولا تحمل الثقل والضيق من أجل انقطاع ممارسة فضائلك، بوجه كامل، ولأنَّ راحتك توارت. فبواسطة هذا تدرّبك النعمة، مربّيتك، تدريبًا تامًّا. وهي لم تذهب عنك حقًّا كما كنتَ قد اعتقدت، بل هي تعلّمك بهذه وتُحَكِّمك لأنّ بها تكمّل فضائلك وأعمالك، لا باعتنائك، وكذلك على رحمتها تَثْبُتُ راحتك.

فإن كنتَ ترجو وتنتظر متى تأتي النعمة وتريحك من شدائدك، وتجعل من اهتزاز حركاتك هذيذًا رفيعًا، وتتنعّم بالراحة التي تأتي منها؛ حينئذ تتقدّم وتفتقدُك بتعزياتٍ مضاعفة وإدراكات أعلى بكثير من الأولى وأرفع منها. والدليل هو ضروريّ جدًّا في هذه التقلّبات، ليُكمِل الإنسان فضائله بالراحة، ومن دون مشقّة أو ضرر يكون مسلكه، لأنّ الكثيرين يهلكون بالشكّ الذي يدركهم في أثناء هذه الامتحانات، فيسقطون وينسون الثبات الذي كانوا فيه.

في الدرجة الوسطانيّة التي هي نفسانيّة

(٧) إنطلاقًا من هنا يغيّر الروح أفعاله في النفس نحو الأفضل، لكي تستنير بها وتتقدّس لقبول المواهب ورؤية الاستعلانات وإدراك الأسرار الخفيّة، حيث يحلُّ عليه في الخدمة، ويُسكّت ذهنه عن طياشة الأفكار، ويقطع أيضًا خدمته، ويُدهش عقله بفهمِ شيءٍ من الأسرار، وحيث يقطع خدمته بدموع محبّة سيّده، وحيث يلقي على ذهنه هدوءًا، ويُبطِل ترتيله من غير تفكير وتذكُّر شيء وهذيذ، وحيث يقطع خدمته بهذيذ رفيع، وحيث يُحرِّك في قلبه حركات حارّة وناريّة بمحبّة المسيح، فتشتعل نفسه وتنحلّ أعضاؤه ويقع على وجهه، وحيث يثير في قلبه حرارة، فتضيء في جسده ونفسه، ويعتقد أنّه قد تلاشى كلّه بسبب الاحتراق، ما عدا القلب.

(٨) ومتى ترى في أحد الأعضاء، أو في واحدٍ من مواضع الجسم شيئًا ناريًّا، فيكون من المضادّ. فإذا كان يمسح الرأس مثلما يمسح اليد، وإن كان يلتصق على القلب والصدر والبطن، فإنّك تشعر بلدغات في جسمك. وأمّا ما يأتي من النعمة، فيتبعه رفق ولذّة. وأمّا ما هو من

المضادّ فيتبعه هذيان وبرودة في الحركات أو اضطراب.

(٩) [وهذه المنزلة هي] حيث يثير الروح في قلب المتوحّد إحساسًا شبيهًا بما حدث في والدة الله فيبتهج قلبه ويطمئنّ. مَن يفهم فليفهم! وحيث يلبسه ملاكٌ لباسَ المحبّة من الظفر إلى المخّ، فيحترق بحرارةٍ وفرحٍ لا ينطق بهما. وحيث يتحرّك فرح في قلبه، إذ يعتقد أنّ ملكوتَ السماء لا يشبه ذلك الفرح، وحيث يشرق في ذهنه فهمٌ للمخلوقات فيدهشه.

(١٠) ومتى افتَقَدَتْك النعمة بواحدةٍ من هذه الأفعال، لا تتجاسر فتقطعها لإكمال خدمتك أو تقوم بحركات خاصّة بالصلاة، إلى وقت ينقبض فيه فعلها ويبدأ ذهنك بالقيام بحركات خارجيّة. هذه الأفعال تحدث في زمن الخدمة والصلاة والهذيذ أكثر من وقت القراءة. بهذه تتقدّس النفس بواسطة الروح وتستنير لرؤية الخفايا.

(١١) من هاهنا تبتدئ نعمة الروح القدس لتُظهر للذهن مناظرَ عجيبة وأسرارًا لا توصف، ومعرفةَ الخفايا وإدراك المزمعات، وتتغيّر حركات الغلوة التي فيه حتّى الآن إلى سكينة وعجب فيمتلئ حبًّا لكلّ واحد.

في درجة الكمال

(١٢) من هاهنا يكون الآن المدخل إلى بيت الكنز، الذي هو بلد الرؤى الممجّدة. هو بلد الفرح والبهجة. هو بلدٌ لا ظلّ فيه، بلد النور، بلد سيّدنا، حيث لا تُذْكَر فيه الظلمة. هو كورة الحياة والتنعّم. هو بلد السلام، حيث يستضيء ساكنوه برؤية حُسنِ الملك. من الآن، تفرح قلوب الذين طلبوه في الضيقات، والذين عطشوا لرؤيته، فأراهم

وجهه. أدخلوا الآن واستريحوا يا أيّها التعبون والمعذّبون! إجلسوا مع ربّكم في الحَجَلَة، يا مَن كانوا يبكون على الباب! توقّفت الآن دموع الألم وارتفعت الصعوبات والحروب وبَطُل العمل والجهاد، لأنّ الزمن هو زمن الراحة. سقط الخوف بسبب المحبّة المتّقدة. سكنت حركات الذهن بعَجَبِ الرؤى المدهشة. هو بلدٌ يستنشق ساكنوه الروح. توقّفت أذهانهم عن الحركة ونطق الروح فيها بخفاياه.

(١٣) هو بلدٌ حَسَنٌ جميل، بَلَدُ النور الذي لا يوصف. لهذا يدعو الروح الذهن النشيط إلى الدخول، بعد أن تعبت حركات قوّاته الناظرة من الشخوص، لترى ذاك الذي هو في الكلّ والكلُّ فيه. وإذا أقام الصلاة، يرى إشراق أقنومه، ويضيء النفسَ حسنُ طبعها، وترى ذاتها على ما هي، والنورَ الإلهيّ الذي يشرق فيها والذي يبدّلها إلى مثاله، ويرتفع مثالُ طبعها من أمام رؤيتها، وترى هي ذاتها مثالًا لله، بواسطة اتّحادها بالنور الذي لا مثال له، وهو نور الثالوث المقدّس الذي يشرق في أقنومها، فتغطس في أمواج حسنها، وتندهش مدّة طويلة. وأحيانًا تنتقل من منظر إلى منظر، وتتبدّل تبدّلاتٍ عجيبة لا تُحصى في وقتٍ قليل.

(١٤) فلا يستعجل هنا غيرُ المعتاد، لئلّا يغافله العدوّ، فهو بحاجة إلى دليل. وأحيانًا إذا نظر إلى كلّ موضع، يرى شعاع ذهنه يشرق أمامه على شبه نار. لا تقبل أيّها الإنسان. يستطيع الشياطين أن يضلّلوك بهذا. هذه الرؤية أعلى من كلّ مثالات هذا العالم. وأحيانًا ترى هي ذاتها في الخدمة في الهذيذ في كلّ حين. ويرى الذهن نورًا إلهيًّا يَلْبَسُ الكلّ ويَعبُرُ في الكلّ بدون مانع، وبه تشاهد حدود الخليقة

بأسرها وما هو خارج الحدود، وما هو فوق السماء والبحار واللجج وكلّ ما فيها. وفيه يرتفع ويدخل من نور إلى نور أسمى، أعني أنّه يدخل في النور وبه يتغطّى إلى أن يرتفع الكلُّ من أمام نظره، حتّى الروحانيّون وعوالمُهم ورؤيةُ أقنومه.

(١٥) هذا يحدث في وقت الصلاة والزيارة. فبهذا النور ترى النفس كلّ نفس. هذه هي التاوُرِيّا التي بها تُرى الملائكة في بلدِها وبحسب طبعها وروحانيّتها، كما أنّ عيني الجسد ترى الطبائع المحسوسة بحسب طبعها، بواسطة النور البرّانيّ. ويُرى بها الشياطين والأفعال التي يقومون بها. وما إن يحلّ فعل الروح في الإنسان ويُظهر ذاته للذهن، حتّى ينطق فيه بلا انقطاع أسرارًا عجيبة وتسبيحًا بسيطًا، ما عدا في وقت رؤية الأسرار والتعجّب فيها. ولن يكون زمانٌ ينقطع فيه عن رؤية هذه كلّها التي شرحناها. تثبت النفس بالعجب في الزمن الأوّل وقتًا طويلًا، وإذا ما تدرَّبتَ على رؤيتهم وتثبَّتتَ في ذلك، حينئذ تعبر تلك البلدان كلّها في لحظة بسيطة، إلى أن تلتقي بغمامة ذلك الذي سُبيَت نحوه قوّة رغبتها واشتياقها.

(١٦) وإذا ما تعوّدت النفس على هؤلاء، فلن يأتي وقت ينحني الإنسان في الصلاة، إلّا وتكون النفس قائمة بالعذاب: إذا قام المرء من هناك ولم ترَ النفسُ مجد عظمة المسيح مشرقًا فيها. وإذا استحقّت رؤية أقنومها، فمنذ ذاك الحين، تدخل بلد الروحانيّين فترى تمجيد صفوفهم وحسنهم وعفّتهم واتّحادهم، وتكون معهم مثلهم في رؤية ممجّدة، فتحصل على معرفتهم على قدر طاقتها فقط، من قبل أن تكمّل تلك المعرفة بالأسرار التي هي من هناك وفي الداخل.

(١٧) هناك تثبت النفس في العجب. ويحدث أنّها تعود من هناك إلى

الوراء، إذا ارتفع منها فعل الروح. وإذا كانت النفس تقوم برؤية أقنومها، يرى الإنسان ويسمع ويشعر بما هو خاصّ بذلك العالم، بصورة غير كاملة. وإذا كان يقوم في بلد الروحانيّين ورؤيتهم، لا يرى شيئًا من هناك ولا يعرف، يسمع بدون أن يسمع الأصوات لأنّه لا يميّز هناك وفي الداخل. لا يمتلك لا رؤية ولا سماعًا ولا معرفة تلك التي هي هناك.

(١٨) حتّى الآن يرشد الملائكة الذهن. من هنا وإلى الداخل، يتدبّر الذهن أمره بفعل الروح على مثال الروحانيّين، عندما يلتقي بغمامة النور ويندهش، وينسى ذاته ورؤية الروحانيّين ورؤية أقنومه. ومن غمامة النور هذه لا يقترب، إذ يقال إنّ الله يسكن فيها. تشرق منها أشعّة النور على الذهن، وهذا استُحقّ بالرحمة. ومجدُ عظمة حسنها، بوجه خاصّ، هو أسمى من رؤية النور الذي يأتي من الغمامة. كما أنّ النور هو أفضل من شعاع تلك الشمس.

(١٩) طوبى لمَن استحقّ دخول هنا ورؤية هذا. هنا ترى النفس وجه ربّها وتندهش، وتتذوّق حلاوة الله، وتبتهج وتستنشق الرائحة القدّوسة وتمنح السعادة لأقنومها، وتنحبس في لجّ عظمته، وتستضيء بأشعّة حُسنِه وتدخل لتستقرّ في جبله المقدّس الذي هو سبيل أقنومه، ولا تعرف أن تخرج من هناك، إلّا إذا حلّها الاتّحاد به. ولا تتذكّر رفيقها في الخارج ولا بلدها، قبل أن تخرج من هناك، لأنّها تكون قد سُبيت بالرؤيا الممجّدة واضطرمت بها، ولم يعد لها القوّة لكي تعود إلى الوراء، إذ لا تفطن لهذا من عجبها وعذوبتها. خُطفت قوّتها الناظرة بعجب الرؤيا، وسكنت حركاتها على شبه الجبل الذي لا يضطرب. ترى أنّها محبوسة كما لو كان ذلك في جبل النور، وأمواج لجج النور

تغطّيها من كلّ جانب، ولا تعود ترى أقنومها. هذا هو الاختطاف الذي يسمّيه آباؤنا رؤية مجد الله. هذا هو عربون العالم الجديد. فبهذه تثقّف عليها ويدخل بها يومًا بعد يوم. وللعبور فيها ليس له ولا لأحد. لا له ولا للملائكة وحتّى لا في العالم الجديد. يلجون فيها ولوجًا ويدخلون بلا انقطاع ولا انتهاء. وإذا تثقّفوا على رؤية العظمة ودخلوا حتّى رؤية أقانيمهم تتبدّل وتصبح على شبه مجد العظمة التي يرونها من أجل الاتّحاد بها.

(٢٠) هذه الأمور كلّها تمنحها نعمة الروح للذين يثبتون في الهدوء ويقتلون ويميتون خلاله حركاتهم المحسوسة، فيتنعّمون علاوة لا توصف، تصنعها فيهم القوّة المقدّسة. فيها تنصبغ نفوسهم مع اللحم والعظام والأعضاء والمفاصل وتتنعّم، فيبتهجون أيضًا بلذّة الرائحة الطاهرة، إذ يستنشقون من الروح القدس والملائكة والقدّيسين رفقائه. وبالقوّة التي يقتنون من هاهنا، يُفرزون بين أفعال الشياطين وخطايا البشر، وأضوائهم وأفكارهم والحروب التي تحدث معهم. ويشعرون أيضًا بزيارات الروح التي تحصل عند الأطهار، ويفرزون كذلك من رائحة ثيابهم، القدّوس من النجس، والنقيّ من الوسخ، بواسطة النور القدّوس الإلهيّ. فمنهم مَن يرى هؤلاء كلّهم، ويشمّ أيضًا بالاستنشاق. ومنهم مَن يقبل إحساسهم بالاستنشاق فقط ومنهم بالإدراك، ومنهم بسماع الفرح الذي تُفعّله النعمة في وقت الصلاة وفي وقت ترائي تلك المناظر العجيبة والعطايا العظيمة.

(٢١) لا أحد يستطيع أن يتكلّم على هذا عندما ينبع شيء أيضًا من القلب. ويبتهج الإنسان بواسطة الروح حتّى إذا رآه إنسان غير عالم أو سمع صوته يعتقد أنّه فاقد العقل. ومن أجل هذا كان إنسان يقول: «أكون

في حذر عظيم كلّ مرّة يقترب فيها منّي، وحين أكون في الصلاة أو حين أكون شاخصًا إلى الله بذهني». من أجل هذه الأفعال، من أجل هذه، مَن لا يحتقر العالم وكلّ تعزياته، وراحته وحياته، إلّا ذاك الذي سباه الشياطين بالأهواء والراحة والتسليات، لا يقدر أن يثبت في الهدوء.

(٢٢) كان إنسان يقول: «عندما أكون جالسًا أحيانًا وذهني مسبيٌّ بالاندهاش من رؤية الله، وعاجز عن الحركة من اللذّة، يأتي وقت، إذا خطر النوم على جسدي الممتنع عن الفعل، يقوم فيه الملاك بإيقاظه، والذهن لا يضطرب أبدًا أو يعود من موضعه». فإذا سأل إنسان ذلك الذي استحقّ النظر إلى الله ومعرفة أسراره: «لماذا لا يهتمّ بأولئك الذين هم في الأرض؟» فليعلم هذا: «إنّ مُحبَّ الله لا يبطل ذهنه من النظر إليه ومصادقته، ليتيه في الأرض ويعلّم ساكنيها، إلّا متى أُكرِهَ على هذا، لأنّه لا يستريح لنظرهم ولا يهواه».

(٢٣) قال أحد الإخوة: «عندما أتنصّتُ إلى داخلي، أسمع فيّ الروح ينطق بأسرار خفيّته، فأندهش». إنّها تلك الأسرار التي لا يقدر لسان أن يتكلّم عليها، ولا على تلك العذوبة المختلطة بها. تنبّه يا أخي: «إيّاك والإنسان غير المعتاد زيارات الروح والمعارك، أن يرى هذه أو يسمع بها. متى نَبَعَتْ الإدراكات لسندك، إن كان ذلك من قلبك أو من القراءة، تنبّه فلا تتصوّرها أمام عينيك أو تضع فيها علامةً للذكر، بل احفظها في ذاكرتك لئلّا يرى الشياطين ويدركوا تلك التي تأتيك من الربّ للمساعدة، فيُبلبلوا ذهنك عنها بواسطة حِيَلهم الماكرة، ويبرّدوا حرارتك ومحبّتك، ويضعفون ضميرك. فكلّ ما يشعرون به، أنّه لا يكون به راحة وهناء كما تقدّم وقلنا».

(٢٤) إذا شَعِرتَ بمرارةٍ في ضميرك، اعلم أنّ شيطان الحرد قد اقترب منك ليقاتلك، فاحفظ أفكارك من أن تَحرِدَ على إنسان، أو أن تقول كلمة تُتعب إنسانًا في ذلك اليوم. وإن كنت تبصر في أحلامك حيّاتٍ أو دبيبًا ساكبَ سمٍّ أو لصوصًا، اعلم أنّ الشيطان قريب منك وهو يقاتلك، فاحذر أن تقول كلمة جافية لإنسان، أو أن تصنع عملًا يوجع إنسانًا. ليس من عمل حصين كمثل الرجاء في الربّ. هذا الرجاء يهدم كلّ هجوم وهو يكفي بدل كلّ الأعمال والفضائل والصلوات.

الميمر السابع[1]

في المحبّة التي تظهرها الملائكة الأطهار
نحو المتوحّدين النشطاء وتعزيتها لهم،
وفي التحذيرات من الشياطين الذين يريدون أن يضلّوا،
وكيف هو مثال ضلالهم[2].

(١) متى استيقظ الإنسان من الإهمال والتراخي، ووهب نفسه لأعمال التوبة بالانقطاع عن الرفقة واللقيا بالبشر[3]، وضَعُف الجسد، واتّضع القلب بالدموع والألم، وهمدت الحركات كلّها المتحرّكة شهوانيًّا، بالسجود الدائم المتواصل أمام الله، ومتى عدّ نفسه محتقرًا مرذولًا وضيعًا بانكسار القلب، وتنقّت النفس من كلّ آرائها، وطاوعت الروح محكّمها بما هو له، حينذاك يظهر دومًا عليه ملاك العناية، بمجد طبعه الممجّد والعجيب، ويلبسه حرارةً ودالّة لا وصف لها.

---

(١) م ف س ٣٠٤أ-٣٠٥ب؛ **نشرة كوليس** ص ٣٢؛ م ع ح ٢٣-٢٥.

(٢) في هذا الميمر، نبقى في مرحلة التطهير، مع العلم أنّ يوحنّا يشدّد هنا على تجارب الشياطين المختلفة وكذلك على ضرورة تمييز ما هو من النعمة ومع ما يتلبّسه الشيطان من النور لإضلال المتوحّد. إلى ذلك، يشير الميمر إلى اختبار المتوحّد للاتّحاد بالله ونوره، وإلى أنّ الممارسات التقشّفيّة ليست متوقّفة على درجة التطهير.

(٣) بحسب يوحنّا الدلياتيّ، التوبة العميقة تقود إلى الانقطاع عن العالم.

(٢) آه ما أعجب رؤية إشراق ذلك الحُسن المملوء انذهالًا! يُظهر الروح للمتوحّد أيضًا رحمته وحبّه، ويكشف له إلى أيّ حدّ يَفْرَحُ بهمّته وينطق فيه بحركات المحبّة وتحريضاتٍ وتملّقات ناريّة يُطيِّر القلب بغليانها. ويحترق الإنسان ويشتعل بمحبّتها. ويغلي بكلام الدالّة معه. ومن الرغبة واللذّة، يخرج عن نظامه بسبب الجنون[٤]. ولا يستطيع أن يمسك ذاته من الشدّة المحرقة التي تفوق القوّة.

(٣) مَن يشعر بهذا، هو الذي يفطن بما أقول، ويعرف أنّ لا تفسير لهذه الرؤية الممجّدة المشبّهة بالله[٥]. ولا تفسير أيضًا للفرح والمحبّة والدالّة التي تسبّبها، بنوع أنّ عدم احتمالها يُغشي القلب ويوقع الإنسان على الأرض. هكذا يفرح الملاك بهمّة مُطيعه ويفرّحه. هذه تحدث في وقت الصلاة والرفقة مع الله. لكن يشرق عليه أيضًا دومًا وفي كلّ مكان ويعزّيه. ومن الآن يكون محبوبًا لدى الملائكة كلّهم الذين يشرقون عليه لتعزيته.

(٤) فليحذر البسطاء وغير العارفين من سماع هذه. لئلّا يسخر بها منه الشياطين الذين يظهرون بمنظر ناريّ ليُضلّوا. وإذ يظهرون لهم على هذا الشكل، فلا يخفوا هذا، بل يُظهرونه للعارفين الفارزين الأرواح، فيسترشدون لديهم حول الحقّ والضلال. ما هو من الشياطين النجسة، يَظهَرُ للإضلال. يزرعون أفكارًا لكي لا تُكشف أمام إنسان، بحجّة أنّ لا إنسان يفطن بهذه. ويقنعونه بأنّه لن يفطن هو نفسه بحقيقتها، لأنّ الشياطين لا تستطيع أن تصنع مثل هذه.

(٥) بالحقيقة يا أخي، إنّي رأيتهم مرارًا كثيرة يصنعون كلّ هذا ويظهرونه

---

(٤) كأنّ المتوحّد دخل في علاقة اتّحاد بالله، تتجاوز منظومة المنطق البشريّ.

(٥) إنّ رؤية الملاك يقود النفس إلى ما هو أعلى من هذه الرؤية، أي إلى النور الجاري الذي يشبّه بالله. إنّها درجة الاتّحاد وفيها تأمّل الخلائق جميعًا.

تحت السماء، على شبه نورٍ قويّ للإضلال. وبالأكثر بشبه نار يظهرون ضلالهم. يشرقون أمام الذهن في وقت الصلاة، ويضيئون أمام العينين أحيانًا المكان الذي فيه يظهرون. يتراءون في الأحلام فيصنعون رتبة التأمّل إن لم يميّز الرائي. لكن لا تتبع رؤيتهم اللذّةُ كما هي اللذّة الحقيقيّة. وإن كانوا يثيرون أحيانًا الفرح المضطرب. وإن كانوا يدهشون الذهن بغير الحقّ، فهم يصنعون كلّ هذا بدون لذّة، بل كما قد حدّدنا سابقًا.

(٦) لا يتكلّم الأخ في أن يروي أمام أهل الحقّ ما يتراءى أمامه من ذلك الضعف. وإن لم يفهم ذاك الذي تروى أمامه، فليصلِّ صلاة: حينذاك ينكشفون إذا كانوا كاذبين أو حقيقيّين. يرى الربّ اتّضاع الإنسان ويعرّفه على حقيقتهم. لكن لِمَن يُعرف أنّه صادق ويخاف الله ومشهود له، يكشفُ سرَّهم لئلّا يضلّه ضلالًا. وهكذا يصنع بشأن كلّ العطايا. الحقّ الذي يُكشف أمام أهل الحقّ لا يُهلك، بل يزداد ازديادًا ويكثر. الضلال، عندما ينكشف، يبطل.

(٧) أحيانًا يوقظون الإنسان من نومه، ويظهرون له القلّاية كلّها بشبه نور، عندما يستيقظ بعيني الجسد. وإن أغلق عينيه يرى ذلك النور نجسًا. فليحترس من رؤية ما هو مثال ذلك. النفس وحدها ترى الحقّ، ورؤية نور النفس هي أعلى وأسمى وأكثر مجدًا من مثالات هذه العوالم ومن كلّ الطبائع النيِّرة، التي عندما يتمثّلها أمام الإشراقات البهيّة، تكون مظلمة جدًّا.

(٨) الذين رأوا الحقّ واستناروا بمجده، يلهون ساخرين من الشياطين، ويحتقرون تراكيبهم النجسة. ليس للمردة عذاب صعبٌ وقاسٍ أكثر من هذا. لكنّهم يزرعون شرّهم في المرخيّين، ويسبّبون لهم أتعابًا بواسطة أفعالهم.

الميمر الثامن[1]

في المشاهدة المطلقة[2]

(١) صلاة. يا ربّنا يسوع المسيح، الذي من أجل خلاص جنسنا، أرسلتك رحمتك إلى العالمين، أَشرِق معرفتك في أذهان طالبيك، ليسلكوا في سبيل نورك من دون عثار، حتّى يستريحوا في ميناء مجدك فيتنعّموا بجمالك من دون انقطاع مع خدّام خفيّتك، ويستنشقوا الحياة من حضنك للدوام، آمين.

(٢) عندما يشرق النور الإلهيّ في النفس، وعندما تتّحد النفس به، تعبر بالذهن في كلّ الطبائع، في السماء وفي الأرض، وفي الجبال والبحار، وكذلك في أبناء البشر والأجسام الكثيفة كلّها. وهي تراهم على ما هم، على مقدار نقاوتها. هذه هي المشاهدة الجسمانيّة، وأن يكون الإنسان موضع استنارة مع كلّ واحدةٍ من تلك الأشياء، ذلك ما يسمّى إدراك المخلوقات. وبعد ذلك، مع النور القدّوس والإلهيّ، تنبسط بصورةٍ فضلى في الطبائع اللطيفة والروحانيّة وتراهم على ما هم. وتكون معهم بالرؤية والاتّحاد والشبه وبالتقديس الذي يعلنونه والذي هو اندهاش وسكوت لا انقطاع له، يطلع بحركة حيّة

---

(١) **م ف س ٣٠٥ب-٣٠٩ب؛ نشرة كوليس، ص ٨٢؛ م ح ع، ص ٢٥-٣٠.**

(٢) هو ميمر أساسيّ في تعليم يوحنّا الروحانيّ، وخصوصًا عندما يصل الحديث إلى درجة الاتّحاد وما فيها من إشارات وأحوال ورموز واندفاع النفس نحو خالقها.

وناريّة من الحياة الكلّيّة. هذه مشاهدة الطبائع المعقولة[٣].

(٣) وبعد ذلك، تصبح النفس مستنارةً بصورة أرفع من قبل، فتلِجُ في النور القدّوس والعالي الإشراقات، وتُبتَلع بمجد رؤيته وتتعجّب[٤]. ويختفي كلّ شيء من أمامها وكأنّه لم يكن. وتنسى ذاتها لأنّها متّحدة بنور مجد العظمة، وهي مسبيّة بدهش حسنه وترى الأقانيم الممجّدة بالمعرفة. أعني باللامعرفة الأرفع من كلّ المعارف وكلّ العارفين. ولا يستطيع حتّى رئيس ملائكة النور وكبيرهم أن يتكلّم على كيفيّة هذه الرؤيا ونوعها، ولا يستطيع أولئك الملائكة أن يعرّفوها الواحد للآخر، حتّى داخل صفوفهم المتّقدة بنور روح الحياة. إلّا أنّ كلّ واحد من الأقانيم المقدّسة تظهر له في داخله بفعل الروح المكمّل، وبذهنه يقبل رؤيتها واليقين بها، من دون وساطة صاحبه. هذا هو بلد العالم الجديد، وبواسطة الروح القدس يقبلونه، كما في ذلك الانقلاب العتيد، حيث لا وساطة إلّا منه، بينه وبين قابلي عطاياه. هو الذي يُعطي وهو الذي يُعطى. هو الذي يُحدث الإشراق، وهو الذي يُشرق أمام نظر محبّيه. وهو الذي تنازل بحبّه. وهو الذي يُقبَل في الأذهان النيّرة، أي إنّه هو الذي يُشرق فيهم من الداخل ويُظهر حسنه لمحبّيه من داخلهم لتنعّمهم، وهو ينبوع الحياة، وهو الذي يُنبعُ أشعّته في الأفهام المضيئة، وهو الذي يوحّد أذهانهم به ويبدّلهم إلى شبهه ومن الداخل، وفيهم ومنهم، يستنشقونه[٥].

---

(٣) يبدأ الميمر بالحديث عن المشاهدة الجسمانيّة أو مشاهدة الطبائع الجسمانيّة ثمّ عن مشاهدة الطبائع المعقولة.

(٤) إنّ استنارة النفس تسبق المشاهدتين وهذا ما يلحظه المقطع السابق أيضًا.

(٥) إنّ الروح القدس هو الذي أوجد الطبائع العقلانيّة وهو الذي يعطي هذه شبه الآب في=

(٤) وهكذا عندئذ يقبل الأطهار بإفهامهم تلك المشاهدة فيسترشد العمّال[٦] نحوه بواسطة الملائكة. بهذا لا يُسمح لواحدةٍ من الخلائق أن توجّه رفيقتها، بل إنّها تشرق في الذهن وتوحّدهم به وتظهر مجدها. وهذه المشاهدة تطبع بالذهن رؤيةَ الأقانيم المسجود لها مثل ما أسلفنا القول. هذه هي رؤيا الثالوث المقدّس كما يستطاع أن يقال، التي تنكشف للأطهار بالرحمة. طوبى لمَن عانى وازدرى كلّ شيء ليستحقّها. لِنَستَحِقَّها كلّنا بنعمة إلهنا المسجود له، آمين.

(٥) أحيانًا، يخطف الذهنَ الروحُ مرشدُه ويغطّسه في بحر النور الأزليّ. قال لي أحد الإخوة: «عندما تشرق عليّ رحمة الآب، وتخطف ذهني نحو الرؤيا الممجّدة، وقبل أن يغوص في الدهش واللامعرفة وينذهل، أرى ذهني متلذّذًا في بحر الحياة، سابحًا في أمواج النور، فيغطس ثمّ يطفو مستنشقًا رائحة الحياة ويعجب[٧]. ثمّ يذهب ويهدأ ويزدهي ويتمرّغ بغلوة العظمة ويبتهج ويغطّي نفسه بالنور، ويضطرم أقنومه بالمحبّة والفرح، ثمّ يسير ويرتفع من دون مانع، ويلج في مجد البحر، ويتبدّل لشبه العجيب وفيه يرى ملائكة النور المُشرِقَة بما لا يُنطق به، وينبسط معها وفيها، ويعلن القدّوس[٨] باندهاش. ثمّ

=بلد العالم الجديد. راجع في هذا الإطار يو(٦، ٦٣)، روم (٨، ١٠)، (٨، ٢٦)، مز (٣٦، ٩).

(٦) أي المتوحّدون الممارسون الزاهدون.

(٧) في تعليم يوحنّا، تبدأ إشارات درجة الاتّحاد بالغوص في «بحر النور» مع الاندهاش الذي يتبع ذلك، وبعد ذلك دخول في الغمامة والانخطاف. وفي هذا المجال، يبدو الميمر الثامن أساسيًّا لفهم تلك الحال التي يصل إليها المتوحّد.

(٨) أمام عظمة الله والاندهاش الذي تثيره الرؤيا، موقف المتوحّد هو إعلان: قدّوس، قدّوس، كما أعلن ذلك صاحب المزامير (٩٩، ٣) وأشعيا (٦، ٣) وصاحب الرؤيا (١٥، ٤).

يخطفه البحر لإيلاجه في النور المقدّس بوجه أرفع، وينحبس فيه كما في جبل نور وفير الإشراقات، وينذهل برؤية الحَسَن المغطّى بالنور، ويُسبى في مجد المتعالي، ويصبح عنده كلّ شيء كلاشيء، وكذلك لا يفطن هو بنفسه. هذه هي النفس التي ماتت عن كلّ شيء، إذ إنّ أبا الكلّ يقيمها بمشاهدة ذاته»(٦).

(٦) وقال لي ذلك الأخ: «أحيانًا يقف الذهن على عتبة المعرفة، ممتنعًا عن المعرفة والحركات، لحظة واحدة قصيرة أو ساعة واحدة أو يومًا كاملًا أو ليلًا كاملًا، بحسب مشيئة الروح في مقداره للعطيّة. لكن من بعد خروجه من هناك، يقوم بلا حركات عالميّة الأسبوع كلّه على وجه التقريب. أمّا بخصوص الدرجات العليا، لا أعلم كم هي تُبقي في النور وكم تُقيم في دهشة الانخطاف، إلّا أنّي أعلم أنّ ذلك يستمرّ أسابيع وأسابيع، ثمّ يظلم الذهن وتقوى التجارب. ثمّ عندما يرى أحد السماء والملائكة في قلبه، وعندما تُشرقُ إشراقات الروح في نفسه بدون انقطاع، وعندما يشرق بغتة في قلبه عمود نور لا يوصف، وتتحرّك أحشاء الإنسان لتخرج منه بفعل قوّة النور وعِظم الفرح، وعندما يرى الكوكب الوفير الإشراقات والعجيب الجمال طالعًا في قلبه، ذلك يكون المسيح المتجلّي لمحبّيه وذلك لبهجة قلوبهم»(٧).

(٧) واحد من الإخوة، عندما كان الروح يُفرّحه في تلك الطوبى التي لا توصف، كان يحادثه ويقول له: «طابت لك هذه التي تحمّلتَ المرارة من أجلها». فإن كان إنسان، إذ أصبح حكيمًا بحماقة، يلومنا من أجل أنّنا كتبنا عن تلك الأمور في موضوعات كثيرة، فإنّنا نقول، حيال تفكيره الفاسد، أنّه لو كتبنا في كلّ أيّام حياتنا في هذه الموضوعات، لما استطعنا الإيفاء بواجبات العدل، ولا استطاع فكر

أحبّاء الله أن يقضي شوقه ويشبع، إذ إنّه يحلو الحديث عن تلك الأمور أكثر من كلّ الطوبى. أمّا مريض الفكر من أهواء العالم، فنحن نعلم أنّه لا يطيب له طول السيرة في حياة الأطهار، إذ إنّ ضميره يوبّخه فيخزى. إلّا أنّه حتّى ولو وضع إصبعيه في أذنيه، فهو يسمع ورثة الله.

(٨) مَن يتكلّم على الحلاوة التي تأتي من تلك الأمور والتي تحلّي وتدسّم نفوس الأطهار، وبتلك الحلاوة، يصطبغ اللحم والعظام والأعضاء. مَن يفسّر عذوبة الرائحة اللذيذة التي تفوح من هاهنا، وتبدّل النفس والجسد والثياب التي يلبسها، من فعل تلك العذوبة. أو مَن يُخبر عن النار الإلهيّة التي تقع في القلب في تلك الأوقات، وتنطلق في مجمل الجسد والنفس ويشتعل القلب حتّى الطيران من شدّة احتراقها. حتّى إنّ الأرض تتّقد تحته، وبالماء تتبلّل من شدّة فعلها، على ما رأيت مرّات كثيرة ذلك الأمر كما حدث عند واحد من الإخوة. مَن يتحدّث عن المحبّة الموحّدة بالمسيح في وقت تلك الرؤى العجيبة، حيث يغشى القلب ويخرج الإنسان من رتبته، فلا يقدر أن يضبط نفسه المستعدّة للطيران من الغلوة واللذّة التي تعلو على الطبع، باشتياقها إلى تلك الرؤيا الممجّدة لتكون بها. أو مَن الذي يُعرّفه باتّحاد الله بالذهن الذي يحبس في ذاته كلّ العوالم الروحانيّة والجسمانيّة، على شبه الله خالقه وموحّده، بفعل انبساطه الجوهريّ في الكلّ وفوق الكلّ بوجهٍ لا يُدرك. وأيّ لسان يستطيع أن يُظهر بالكلمة الجبروت الذي يَلبس الذهن بفعل انسكاب القلب واتّحاد العقل بمعرفة الرجاء، وهو مُنعَتِقٌ من الطيش والأهواء والأفكار، وكذلك من الهذيذ النافع والحركات المصلّية، إذ يكون مسبيًّا بالحبّ وبه يهدم القوّات الغريبة ويزيل الحركات العالميّة. لا يجد هذه الأشياء أو

يستطيع أن يجدها إلّا الذي تنازل تحت الكلّ وكان في عيني نفسه مرذولًا ومحتقرًا ولا قيمة له، واحتمل وهو يشرب الصبر والمرّ من الشياطين والطبيعة والقريب. وَحسِبَ الكلُّ أنّه مستحقّ أكثر من ذلك كلّه، فيقبله كبديل عن خطاياه الكثيرة.

(٩) لا أحد يقدّسه الربّ إلّا ذلك الذي يقدّم ذاته كالنجس أمام الله في كلّ حين. وهو يفرح أن يقدّسه، ليصبح كائنًا قدّوسًا لإكرامه. إلّا أنّ مَن يعدّ نفسه قدّوسًا، يقول له القدّوس(٩): «لستَ محتاجًا إليّ من بعد، إبقَ هنا في قداستك». إجعلنا يا ربّ مستحقّين أن نرى مع عارفي أسرارك استعلان مجدك في داخلنا في كلّ حين، آمين.

(١٠) أطلب من الذين يجدون هذه الأخبار ألّا يتساءل إنسان أنَّه كيف يدرك هذا السكون القابل تلك العطايا، وهو أسير بلبلة أفكاره وانعدام ترتيب أحاسيسه. فلا الطبع ولا المشيئة تحقّقان العطايا، بل عندما تزور نعمة الروح الإنسان، لأجل الفضائل التي يكمّلها بالشدّة والاضطراب، حينئذ لا تُسَكِّت وتُهدِّأ فقط حركاته الفاسدة والمضطربة، بل تتبدّل إلى حركات الغلوة بالله، والرغبة في الأعمال تصيّرها سكونًا وعجبًا ولذّة، برؤية مجد ربّ الكلّ. ويقتني تغييرًا في كلّ ما له، ويمسي آخرَ بدل ذلك الذي كان، ويتبدّل في عيني نفسه، وينسى هيئته الأولى، لأنّه وُلِدَ بالروح لبلدِ الروح، وتسكن نعمة الروح على ذهنه بوجهٍ دائم، وتملأه عجبًا وذهولًا، وتُظهِرُ له ذاتها ويفرح، ويستنشق رائحة نعيمها، متى أرادت وأعطت له. ويصطبغ باللذّة والأنس الذي لا يوصف.

---

(٩) القدّوس هو الله: حز (٢٠، ٣٩)؛ هو (١١، ٩)؛ رؤ (٣، ٧).

(١١) وأيضًا، تهجره النعمة فيُظلِم ويضطرب وينقطع رجاءُ حياته. إلّا أنّها تشرق فيه ثانية بشعاع قويّ ومضيء فينذهل. فليكن مباركًا ذلك اليوم، من دون أن يكون انقضاء لطوباه. وليعطنا الربّ فهم كلّ ذلك، آمين. فليسكن ذلك السرُّ في أذهان ناظري تلك الصُوَر، حتّى ليوم انقضاء الأزمان. ولتذكرني كلّ الأجيال التي تأتي بعدي في هذا المكان. والذين يذكرون ضعفي، ليذكرهم الربّ ويذكرهم طوبى اليوم، ويملأهم من حسن رؤيته وعجب مجده. ليسكروا بمحبّته وبعذوبة نعيمه. وبها ينسون العالم الفاسد وكلّ مفسداته. ولكثرتهم يكونون واحدًا في الواحد ومع الواحد. ويغطسون في مجده ويختفون عن رؤية أعدائهم التامّة. ويستنشقون الحياة من حضنه. ويحتقرون الحياة الزمنيّة. ويطيرون في أمواج عظمته مع قوّاتك القدّوسة التي تحرّكها الحياة الكلّيّة في البلد، حيث الروح القدس هو نسيم سكّانه، آمين. الذي له المجد من فمنا جميعًا ولنستحقّ كلّنا التنعّم بمجده إلى أبد الآبدين، آمين.

الميمر التاسع[1]

في حفظ الحواسّ الخارجيّة والداخليّة، وبما تُحفظ[2]

(١) أيّها الأخ الذي يرغب، بحبّه الحارّ، في أن يكون لله، وأن يصل إلى ما هو عدم الخطيئة، اسمعني بحبٍّ، على حسب ضعفي، أروي لك الأوجاع التي يولد بها هذا الطفل المحبوب لهذه البنوّة الطاهرة، ومَن هي هذه الوالدة. وأقول بدالّة من الله، بالله، لأبناء الله، إنّ هذه الوالدة هي تمييز مزدوج: الأوّل هو تمييز التدابير، والآخر هو تمييز الأرواح، وهو يتولّد من الأوّل[3]. ولن يستطيع إنسان على الإطلاق الخروج إلى بلد الحياة، حياة العالمين، ورؤية الشمس الخالق إن لم يولد من هذا الرحم.

(٢) هذا هو بدء الميلاد المقدّس. رتّب حواسّك أيّها الأخ، لأنّ موت

---

(١) **م ف س** ٣٢٠ب–٣٢٤أ؛ **نشرة كوليس** ص ٣٤؛ **م ح ع**، ص ٤١.

(٢) من ناحية يشدّد هذا الميمر على حفظ الحواسّ الدقيق والمستمرّ لتجنّبها التلذّذ من الخارج، ومن ناحية أخرى لا بدّ من حفظ الحواسّ بتمييز. وهذا الميمر يشير إلى نوعين من التمييز أو الإفراز (وهي كلمة تستخدمها الترجمة العربيّة بنقلها كلمة فورشونو): تمييز التدابير أو التصرّفات أو الممارسات التي على المتوحّد القيام بها وتمييز الأرواح الذي مصدره النوع الأوّل، وهو يتضمّن بعدين: النيّة القويمة وإدراك قصد الممارسة الزهديّة. والثاني يتضمّن بعدين أيضًا، معرفة القوى الروحيّة التي تقف وراء أعمال الإنسان، والعلاقة بتلك القوى.

(٣) تنوّع التمييز لا يلغي وحدته.

الإنسان الباطنيّ يدخل بواسطتها. تنبّه إلى الحفظ. ها أنت قائم في باب الكمال. أنظر إلى ما قاله القدّيس أنطونيوس: «إنّ كثيرين عملوا أعمالًا عظيمة. ولأنّهم لم يعملوا بتمييز لم يدركوا طريق الله، ولم يصلوا إلى ذلك الميناء المقدّس».

(٣) وهذا هو ترتيب الحواسّ الذي على رجل الله أن يمارسه بتمييز[٤]: إمنع نظرك عن كلّ الجمالات بالنظر إلى الله، إذ تضع في حسبانك بأنّك لن تُنعّم نظرك بهذه لكي يعطيك الصالح حسنه، مفرّح الملائكة، لتتنعّم به. ومسمعك امنعه عن كلّ سماع لهوٍ إذ تقول في نفسك إنّك بالاحتفاظ من هذا، أنت واثق بأنّ الحقّ سيهبك سماع أسراره من الدهر وإلى الأبد.

(٤) وفي الاستنشاق، الحاسّة الثالثة، إنّ الثابت هو هذا: «إنّه بالامتناع عن كلّ الروائح الطيّبة التي هي هاهنا، يهبني سيّدي من خفيته[٥]، للتنعّم، تلك الرائحة المقدّسة التي تُنعِّم ملائكة النور». وفي الحاسّة الرابعة التي تضمّ جزئين والتي يصل بها الإنسان إلى الكمال، امسكها باحتراس شديد، بهذا الرجاء: «إنّه بالاحتراس من كلّ المذاقات الطيّبة، يهبني الربّ أن أتنعّم بمعرفته». وأمّا اللسان، فالجمه عن الكلام الباطل، كما يقول ربّنا، لأنّك مشتاق إلى أن تتكلّم إلى جابلك.

(٥) وأمّا الحاسّة الخامسة، سلّمها إلى الحافظة المتنبهة التي هي العفّة، لئلّا تتحرّك خارج خوف الله، وأنت متحقّق أنّه بهذه الحراسة،

---

(٤) من هنا يبدأ شرح ما يقصده يوحنّا بتمييز التدابير أو التصرّفات.
(٥) خُفْيَة: الكائن الخفيّ.

يجعلك الغنيّ بنعمته أهلًا لأن تميّز، بواسطة لمس الذهن، الخاصّة من اللصوص، والأطهار من الأنجاس، المقدّسين من غير القدّيسين. وهكذا كلّ مَن يشاء أن يمارس هذا الحفظ بأعمال شديدة وقويّة، من دون هذا الرأي، فإنّ أعماله كلّها تؤول إلى الهلاك ولا يَرى ثمرًا على الإطلاق في أرض ممارسته. هذا هو التمييز الذي قال عنه آباؤنا إنّه أرفع من كلّ الفضائل، ومن دونه لا توجد فضيلة عند إنسان.

(٦) ومتى تنقّى الإنسان البرّانيّ بهذا، وتقدّس الإنسان الباطنيّ، حينئذ يُشرق في النفس نور الثالوث المقدّس، أعني طوبى رؤية الله الأزليّ، التي وعد بها حياة العالمين في بشارته أنقياء القلوب. وحينئذ تنبسط النفس مع الطبائع اللاجسمانيّة، وتتنعّم بجمال رؤيتها، وترى حُسن أقنومها وكلّ طبيعتها، على حدّ ما شهد آباؤنا. وترى مواكب الشياطين وكلّ ما يفعلونه وأهواء البشر وأفكارهم، إلى جانب تمييز كلّ واحد من هؤلاء بحسب رتبته. هذه الأمور تتعلّق بقوّة النفس الناظرة، وهي تُعطى لها بواسطة حفظ الحواسّ.

(٧) أمّا ما يُعطى الثانية، التي هي السمع، فهو أنّ النفس تستمع في داخلها إلى الأسرار التي يعلنها الروح القدس، وهمسات القوّات الروحانيّة، وتهليل العقول الطاهرة، وهي تعرف مصدر هذه الأصوات واحدًا فواحدًا، وسماع أفكار الأنفس كلّها وإن هي بعيدة جدًّا، والمكائد التي يثيرها الشياطين على المختارين، وطُرُق حيلهم. وهذه الأمور كلّها، المتعلّقة بهذه الحاسّة، تسمعها النفس بصورة خفيّة، بفعل الروح القدس، على شبه الصوت اللطيف الذي تسمعه الحواسّ الظاهرة، حتّى وإن كانت بعيدة من أقصى الأرض

إلى أقصاها. فهذا يا أخي ما يولّده الحفظ الدقيق.

(٨) وكذلك للشمّ القوّة الثالثة، يعطي الروح، مقدّسه، الأمور التالية: إنّه يقبل بلذّة ذلك التنعّم الطاهر الذي يثيره الفعل الإلهيّ، غير المختلط بأيّ من القوى القدّوسة، ويقبل رائحة القوى غير الجسمانيّة للجواهر السماويّة، وكذلك لذّة الأنفس النقيّة والأجسام الطاهرة، ومعرفة هؤلاء واحدًا واحدًا كما هو. ويقبل أيضًا الإحساس بنتانة الشياطين وتمييزهم واحدًا فواحدًا، وبالأنفس النجسة وبالأهواء التي توجد في كلّ واحدة منها. مباركة هي القوّة الثلاثيّة مثبّتة كلّ الكائنات، التي منحت ضعفنا إظهار كلّ ما يتعلّق بهذه القوى الثلاث كما تشاء نعمتها.

(٩) أمّا ما يُعطى القوَّة الرابعة التي تسمّى الذوق فهو التالي: حلاوة إلهيّة تنبع للنفس ومنها بلا انقطاع، وهي تحلّي وتُدهِّن وتُنعِّم كلّ الأعضاء بشكل لا يوصف. أيّها المتوحّد، حياتك الحقّ هي الله! اطلب حياتك في ذاتك، لتتذوّق تنعّم مفرِّحك بتجلّيه في نفسك. هذا هو المخدع الطاهر! وهذا هو الساكن المقدّس! فليعطِك الله يا أخي، أن ترى هذا السرّ في نفسك. آمين! وتتنعّم النفس أيضًا بحلاوة القوى القدّوسة وتفهم اختلاف الواحدة عن الأخرى، ويكون لها شيء من تمييز القوى المضادّة. وحينئذ تصبح النفس ينبوعًا لا ينقطع ونبع الحياة الذي لا تصفه الكلمات، أعني تَفَجُّر الكلام المجازيّ بدالّة مليئة فرحًا. فعلى هذا، تكلّم القدّيس بولس قائلًا: «إنّه يرسل روح ابنه إلى قلوبنا، هذا الروح الذي ينادي الآب أبانا»[٦]، وعندما

(٦) راجع روم (٨، ١٥).

يقول: «بما نصلّي كما هو واجب، لا نعلم، لكنّ الروح هو الذي يصلّي فينا عوضًا عنّا بكلمات لا توصف»[7]، إلهي، أهّلني بنعمتك أن أشعر بهذا السرّ!

(١٠) أمّا (القوّة) الخامسة، وهي اللمس، فعندما تصل إلى ذلك البلد، تستطيع أن تحكم كلّ القوى التي تلتصق بها وأن تعرف من أين هي، أكانت من الله أم من الملائكة، أو كانت من القوى المضادّة. هذا هو تمييز كلّ واحدة من هذه القوى: فعندما تلتصق قوّة إلهيّة بالإنسان، فإنّه يمتلئ بكلّيّته من الحرارة المتقدّمة واللذّة السلاميّة، مع نسيان وتجاهل ما هو هاهنا، باندهاش أرفع من الطبع، في حين تسكت تمامًا القوى النفسانيّة والروحانيّة. ومن ذلك الحين، يعرف نفسه كأنّه لم يَعُد في الحياة بل في حياةٍ أرفع من طبعه. والقوّة الملائكيّة تكون هكذا: تنطلق نار في النفس والجسد، ويشتعل الإنسان فرحًا بما لا يطاق، ويشتاق إلى نظر الخفايا فيتلقّى برهانًا بواسطة اللمس بلذّة، ويجدُ الكمالَ بمحبّةِ الملائكة التي لا توصف. أمّا الاحتكاك الشيطانيّ فيعرف هكذا: عندما يريد أن يتشبّه بالحقّ، يلبس شبه الحرارة ليُضلّ. لا تستعجل بالقبول لئلّا تجد لك الموت بدل الحياة. تمهّل وانظر كيف تتبدّل هذه الحرارة إلى برودة، والرغبة إلى هذيان، ويفقد الجسد سلامه وتَتَخَدَّر الأعضاء. وعلى شبه النمل، يعضّ البطن والصدر والأكتاف والعينين. يا سيّدنا يسوع المسيح، أكشف أمام عبيدك حِيَل الأشرار وافضحها بقوّة روحك القدّوس، آمين.

(١١) وإذا ما وصل إنسان بواسطة نعمة المسيح إلى هذه الأمور، يقتني

(٧) راجع روم (٨، ٢٦).

وحدة مع ذاته ومع موحّده. لأنّ قوى الجسد تتّحد بحركات النفس، وحركات النفس تتّحد بالذهن. وينبسط الذهن في اللاإدراك، في وحدة بمعرفة الله، ويرى مجد الله وجهًا لوجه، ويضيء فيه على مثاله ويصير مثله. هذه هي الخلطة الكاملة بالله. هذه هي الخيرات التي تهبها قوّة الحفظ بواسطة التمييز الذي تكلّمنا عليه سابقًا.

(١٢) ها يا أخي، قد تكلّفتُ وسطّرتُ ما طلب إليَّ حبُّك الطاهر، لنموّ الذين يطلبون بسخاء وتدرّجهم، ويريدون أن يصعدوا في هذه الدرجات، وإن كان يمكن أن أصوِّر الخليقة كلّها في كلمات. لكن هذه تحدّ المواهب وتحبسها، وتحبس معرفة الخفايا، حتّى يصبح القلب نبع أنهار أشعّة الروح القدس بعبارات مستورة هنا. وموهبة الاستعلانات توجد هناك، وتظهر فيهم النبوّة وكذلك موهبة الألسن من ذلك الحين. وموهبة الشفاء، الثلاثيّة الأجزاء تُقتنى منها. قدّوس النغمات اللطيفة يُرى ويسمع فيها. التعالي من كلّها هذا إلى الوحدانيّة، التي بالواحد المثلّث الأقانيم، يكون بتمام هذا. الجسد مع النفس يتطيَّبان حقًّا بالفرح والابتهاج بها.

(١٣) ها قد كتبنا ما يليق بالقلم والمداد، وقد أخفينا ما لم يَسمَح الروح القدس بأن ينكشف، بسبب قلّة إيمان المرخيّين وعدم مثابرتهم. لكنّه ينكشف مشافهة في الخفية لمحبّي الخفي فقط سرّي لي حقًّا ولأبناء بيتي! المجد للذي جعل جهالتنا حكيمة بواسطة روحه القدّوس في هذه الأمور، إلى أبد الآبدين.

الميمر العاشر[1]

في الموت الإراديّ عن العالم، وفي الحياة المنقطعة عن العالميّين[2]

(١) عندما يميت الإنسان ذاته عن الحياة الزمنيّة بالرغبة في الله، يكون مذ ذاك حيًّا بتلك الموعودة[3] ويتنعّم. «ولن تنقطع مجاري أنهار الحياة من قلبه على الإطلاق»[4]، كما قال كلمة الحياة الكلّيّة، أعني أنّ أشعّة الروح القدس تنبع في ذهنه من دون انقطاع[5]. ويرى اللامنظور في انكشاف السرّ كما لو أنّه في المرآة. وخدّام الروح المُخفى فيه يعلنون «قدّوس»[6] كما لو أنّهم في قدس الأقداس. وهو في داخله معهم يشبههم، لأنّ الكلمة تتجاسر على القول إنّه يعرف ذاته في تلك الساعة. إنّه يشبه مجد العظمة، لأنّه يضيء من مجد وجه الربّ. وينتشي بذاته وينسى الكلّ، ويفحص ويعرف الذي هو من الأبد ومن

---

(١) م ف س ٣٢٤أ-٣٢٤ب؛ نشرة كوليس ص ٤٧؛ م ح ع، ص ٤٥-٤٧.

(٢) يبدأ الميمر بالحديث عن الإنسان الذي يميت ذاته عن الحياة الزمنيّة، وينتهي بالدعوة إلى الموت عن العالم، وهو شرط لدخول عالم الحياة. ويوحنّا بين المقدّمة والختام يصوّر عالم الحياة الذي ينكشف لمَن يميت نفسه عن العالم.

(٣) راجع عب (٦، ١٢).

(٤) راجع يو (٧، ٣٨).

(٥) راجع يو (٣، ٣٤).

(٦) راجع إش (٦، ٣)؛ رؤ (٤، ٨).

دون منتهى، إذ إنّ ذلك كلّه ينبع فيه من نبع التطويبات من دون تردُّد.

(٢) أرغب في القول الآن: ذاك هو مسكن الربّ وطريقه ومخافته. طوبى لمَن أشرق فيه نور حسن عظمتك الأزليّ، أيّها المخفيّ عن الكلّ، وصار بلا طبيعة محدودة لعدم إدراكك. ذلك هو التمثّل القياسيّ الذي سمعه عارفو الأسرار[٧] من فم الربّ. يا ربّنا، أعطني ألّا يَبرد من جسدي ومن نفسي، حريقُ نارك العقلانيّة المحرق، تلك التي تزيل كلّ اضطراب من أراضي آبائنا المشتعلة فيها. ربّي، لتكن محبّتك دومًا فيّ، تلك التي تُخمِد كلّ الحركات الحيوانيّة.

(٣) يا أخي، كن ميتًا عن العالم، فتصبح أنت حيًّا لحيّ العالمين[٨]. فلا أحد يجمع اثنين في واحد مثل الكلمة الوحيد له المجد لأبد الآبدين.

(٧) راجع تك (١، ٢٦). التمثُّل القياسيّ هو تطابق الصورة بشكل محكم مع الأصل، وذلك يعدُّ تفسيرًا يستند إلى اختبار يوحنّا الروحانيّ.

(٨) راجع رو (١٤، ١٣).

الميمر الحادي عشر[1]

في الدالّة التي يقتنيها من أجل الله
أولئك الذين يصنعها في قلوبهم روح يسوع[2]

(١) أنت تعرف يا أخي الكلمة التي قالها ذلك الإنسان الطوباويّ: «إنّ الله يرسل روح ابنه إلى قلوبنا، ذلك الذي يدعو الآب أبانا»[3]. إفهم يا أخي هذا السرّ، أي تَضَرَّع، في نفسك تجد تفسيره. أعني أنّ روحه إذ يسكن في الإنسان، يكون كما لو أنّه يسكن في ابن الله، فيخاطب فيه الآب. فلا ضعف بشريًّا هناك، ولا قرابة آدميّة في تلك الساعة، ولا صلاة ولا سؤال ولا طلبة ولا أفكار ولا حركات ولا حياة من

---

(١) م ف س ٣٢٧أ-٣٢٨أ؛ نشرة كوليس ص ٧٠؛ م ح ع، ص ٤٨-٤٩.

(٢) الدالّة هي الحرّيّة الواثقة المؤمنة. عند القدّيس بولس هذه الدالّة (البارّيسيّا باليونانيّة) هي موقف المؤمن الذي يعلن عن إيمانه بقوّة، ٢ **قور** (٣، ١٢)؛ **أف** (٦، ١٩)؛ **فل** (١، ٢٠) وهي أيضًا الثقة التي يضعها الرسول في المؤمنين (٢ **قور** ٧، ٤). إلّا أنّ لهذه الدالّة معنى آخر ذا بعد روحانيّ يشير إلى موقف المؤمن الذي يتوجّه إلى الله كأبٍ بثقة بنويّة خالصة، يحيا مع الله بروح الألفة والاحترام، وبحرّيّة تامّة هي حرّيّة أبناء الله (**أف** (٣، ١٢)؛ **عب** (٤، ٦)؛ ١ **يو** (٢، ٢٨)...). ولدى الروحانيّين، أمثال يوحنّا الدلياتيّ، يتفوّق المعنى الروحانيّ على المعنى الأوّل وترتبط الدالّة بالصلاة كما عند أواغريوس، وكذلك بحفظ القوانين التي تقود إلى العيش بدالّة. لمزيدٍ من الاطّلاع راجع مقال: Parrhésia, *Dictionnaire de spiritualité*, 121.

(٣) راجع روم (٨، ١٥).

مصدر بشريّ. ولا تذكُّر للجديد ولا وجود للمزمعات عنده، بل اتّحد كلُّه بكلِّه بروح الابن الذي فيه يتكلّم. وبطريقة إلهيّة يعرف ابن الله وبدالّة يتحدّث إلى الله، مثل الابن إلى أبيه.

(٢) ومن ذلك الوقت، أصبح مِثْلَ قابل الصلوات، لا كالمصلّي. ومثل مستجيبِ كلّ المسألات، قد تسلّط على كنزٍ ليس له، أعني على كنز والده. إذ إنّه أقنوم ذلك الذي يسكن فيه برحمته. آه للسرّ الذي لا يُفسَّر! يا بوقَ الروح، بمَ تتكلّم أنت؟ كلامك هو كلام الله الذي يتحدّث فيك. يعجز القلم والمداد عن تفسير الأسرار، ولا تستطيع المدارج أن تتّسع لنارِ الحبّ المتّقدة في الناطقين من مرتبة البصيرة. ولا يميني أيضًا تقدر أن تظهر بالكتابة مرادي.

(٣) فليعطِ صانعُ الأسرار في أنفسنا تفسيرَها برحمته. تكفي رؤية ذلك الإنسان فقط للإجابة عن كلّ مسألات الطالبين. فلا صلاة يصلّي من أجلهم، بل بالرحمة يتحرّك شفيقًا نحو كلّ المحتاجين والروح الذي فيه يشفي أوجاعهم، أكان شفاءَ أوجاع الجسد، أو إذا طلبوا ترك الخطايا أو طلبوا قوّةً للنفوس أو كانوا مشتاقين إلى عودة الذهن لمعرفة الله أو طلبوا قضاء حاجة الجسد.

(٤) هذا يا إخوتي قليل من الفهم وبراعة، من ذلك الذي بنفسه اختبرها والذي أنا منه وقفتُ على السرّ. وكان يقول لي وهو قولٌ حقّ «إنّه في الوقت الذي تفعل تلك الموهبة فعلها في الإنسان، حتّى لو أصبحت الخلقيّة ضجيجًا وسجسًا، كلّ ذلك لا يستطيع أن يجعله عارفًا لذاته، بسبب التعجّب[٤] والاحتراق».

(٤) التعجُّب هو حالُ المتوحِّد في تدرّجه لرؤية الله عزّ وجلّ، وهذا ما يشير إليه هذا الميمر.

(٥) فلنضع منتهى لكلمتنا، إذ ليس لمنتهى يحدّدها لكثرة النهايات فحبستها كلّها. إذ إنّ كلّ ما يتكلّم به ذلك الإنسان مثل الله يتكلّم، فتخضع له كلّ البرايا، أعني تطيع الله الذي يسكن فيه، والذي له المجد إلى أبد الآبدين، آمين.

الميمر الثاني عشر[1]

في سرّ العالم الجديد[2]

(١) من الآن، أنا نفسي في مواجهة نفسي. وأنا، أنا قائم في حربٍ على نفسي، كما يظنّ الحكماء، غير الفهماء للحقّ. إذ إنّي أريد أن أتكلّم أيضًا بما لم يسمعوا ولم يفهموا. يا لسان العالم الجديد ساعدني لكي أتكلّم على عالمك، وأتحدّث عنه قدر ما يُقال. الروح القدس هو لسان العالم الجديد، وبه الكلّ يتكلّم في عالم الحياة[3].

(٢) يا رأس العالم الجديد[4]. إجعلني عضوًا في جسدك[5] فأقسّم من حضنك الحياة للمحتاجين. يا أبَ العالم العتيد أنت تكلّم فيَّ عليك وعلى أسرارك التي تليق بقدسِك المقدّس الكلّ. أنت هو رأسُ الناطقين ومنك تجري الحياة لهم[6]. أنت هو أبو المتكلّمين روحانيًّا

(١) م ف س ٣٢٨أ-٣٢٩ب؛ نشرة كوليس ص ٧٢؛ م ح ع، ص ٥٠.
(٢) هذا الميمر خصّصه يوحنّا للحديث عن سرّ العالم الجديد الذي يعيشه المتوحّد عند ولوجه درجة الاتّحاد. في هذه الحقبة، يصبح الجسد روحانيًّا ويشترك من دون أيّ حاجز في تنعُّم النفس. وما يشاهده المتوحّد من ها هنا وما يحياه من سعادة منظر النفس لخالقها ليس سوى عربون المشاهدة المستقبلة والقيامة.
(٣) راجع أع (٢، ٤).
(٤) راجع قول (١، ١٨)؛ (٢، ١٩)؛ أف (١، ٢٢)؛ (٤، ١٥).
(٥) راجع ١ قور (٦، ١٥)؛ (١٢، ٢٦)؛ (٥، ٣٠)؛ إلخ.
(٦) راجع روم (٨، ٢)؛ ١ طيم (١، ١٦).

وجسدانيًّا. ومنك يولدون ثانية نحوك ليقوموا فيك(٧). يا بلد كلّ البلدان، أنت لهم عالم جديد، إذ بميلادهم منك(٨) يصيرون شَبَه مجدك، وأبناء الله يظهرون في شبه يشبه بهاء مجدك الذي لا شبه له.

(٣) أنت هو لهم ما يسمّى بالعالم الجديد وما يكنّى بالعالم العتيد. فمجدك الذي بواسطته تحلّ أنت لهم هو أرفع من كلّ شهرة ومن كلّ لقب. ذلك هو الميراث الذي يرثونه معك. تكون لهم بأزليّتك الوحدانيّة التي فيك، مثل الأعضاء بالجسد، وذلك يكون، بالنعمة، بمجدك ولا يكون بطبيعة مجد أزليّتك. ويعتبر الاتّحاد بمجدك لتنعّمهم، ولا يعتبر اتّحادًا بالجوهر(٩).

(٤) لا يكون الناطقون الجسدانيّون هم العطاش فقط إلى هذا الميلاد العجيب(١٠). فالسرّ لا يفسَّر، بل حتّى الطبائع الروحانيّة تحتاج خلِقَتهم وأيضًا ما لهم إلى هذا الميلاد الجديد. ويفوقون أضعافًا مضاعفة ما هم عليه الآن، إذ إنّ هؤلاء وأولئك يلتحفون شَبَهَ خالقهم في انبساط واحد لا يميّزه شيء بيننا وبينهم، باستثناء نشاط إراداتهم. فلا طبيعة لهؤلاء، بل إدراكًا. فأنت يا ربّ شمس الناطقين حتّى هنا، ومنك يستضيئون من دون انقطاع، بل هم مبتهجون بالمزمعات لنا ولهم كلّ حين، فيرجونها بوجهٍ دائم، إذ يتوقون أن يصبحوا شِبْهَ عظمتك بتبدّلهم إلى مجدك.

---

(٧) راجع ١ بط (١، ٣).
(٨) راجع تي (٣، ٥).
(٩) يعمُد يوحنّا في مواضع متعدّدة من كتاباته إلى التفريق بين الجوّ الإلهيّ من ناحية والطبع الإلهيّ من ناحية ثانية، فيؤكّد أنّ الوحدانيّة هي على مستوى المجد لا على مستوى الطبيعة الإلهيّة عينها.
(١٠) راجع أش (٥٥، ١).

(٥) إلى هذا يدعو الخالق الطبع الناطق، فيصبح ذهنُهم شَبَهَ العظمة وتنبع خُفيةً فيه أمواج النور من الجوهر من دون انقطاع. يَقْصُرُ المداد والقلم عن الانبساط مع انبساط الأسرار. لكن طوبى لمَن سُرَّ به المسيح ونعمّه بالاستعلان عليه من ها هنا. وإذا كانت هذه عربون تنعّم فرحة الذي لا ينطق بها، فبأيّ صمتٍ يلتجم اللسان إذا أراد أن يتحدّث عن تلك التي ستتحقّق بالتمام في عالمها. فَلْنُمَجِّده وَلنَسكُت. ومَن له هذا الشعور فَلْيَصْمُت. الله لن يُنطَق به وأيضًا الأبناء المزمع أن يولِّدَهم[١١] لا يُنطَق بهم على شَبَهِه. ذلك هو منتهى كلّ شيء. مَن يرفض هذه الأمور، فليتعارك مع صانعها، إن كان يستطيع وإلّا فليرتحل.

(٦) يضيء النور فيفرّح. يشرقُ الصباح فَيُنَعِّم. يتكلّم المحبوب فيُلهِب. يُحرِّض الصالح ويُثمِّر. ويظهر له بالفرح مع الذي هو له. السُحُبُ والغمامُ والضبابُ هي نور[١٢]. أفهمُ أنّ العقل الضعيف لا يستطيع أن يتبحّر فيه. واحدة حضرت أمامي، إذ إنّ الكثرة المتعدّدة لا تدركها. أخي كن مشاركًا معي لعلّي أجدها بفضل صلواتك عليّ أنا الذليل. طوبى لمَن اقتناها. بكلّ الوسائل تدبّرتُ كي تساعدني روح الاستعلانات لآتي بخفاياها إلى الظهور. وعندما ازددتُ حكمةً وُجِدتُ جاهلًا لا أدرك شيئًا. فلأَخْزَ من الآن بضعفي وأسكت.

(٧) أعطيتني يا أخي قليلًا من الأرض للزراعة، فيا أيّها الحارث الصالح ارمِ حبوبًا حيّة فيها بدون قوّة، فَتُختَزَن في أهراء العقل بالحكمة وتصنع قيامة للموتى في بلده، فيتطيّبون بالمأكل الحيّ الواهب الحياة

(١١) راجع يو (٣، ٨).
(١٢) راجع أش (٥، ٣٠)؛ تث (٤، ١١).

للأبد بلا انتهاء، وتنتصب الثمار الروحانيّة من كرمِ الحارث في البلد المنبسط. ولك يا أخي تُرسَل عناقيدُ سمينة[١٣] في قرطلٍ صغير، على ما يُظنّ. ولكن المسرّة تُعطى الشاربين بلا انقطاع من العصير المعصور بمهارة. الربّ يكون لك مسكنًا وتكون له مسكنًا وراحة وبيتًا. وهو يكون شمسك المضيئة المُفرِحة الآن وإلى أبد الآبدين، آمين وآمين.

---

(١٣) راجع رؤ (١٤، ١٨).

الميمر الثالث عشر[1]

في العَجَبِ الذي يثيره تجلّي الله في النفس،
وفي الدالّة التي تعطاها منه بالاشتعال الحارّ نحوه
وبها يتكلّم إليه سرّيًا، وفي اختلاطه بالملائكة،
وفي المحبّة التي يظهرونها للإنسان في تلك الأوقات[2]

(١) قال لي أخ صادق إنّه فيما كانت نفسه تتكلّم إلى روح الله، قال صامتًا: «يا حياتي، استضاء وجهُ نفسي بحسن مجدك وتغطّت السماوات والأرض من نورها[3] واستنارت الأعماق باشتعالها من نورك، وارتفع الكلّ من أمامها، وصارت هي وأيضًا هي لذاتها صارت لذاته كمَن لم يعُد لذاته، إذ إنّها متّحدة من دون إدراك، بالكيف الذي هو من دون تكيُّف».

(٢) صمتت الآن الحواسّ من دون فعلٍ والذهن صمت من دون حركات. في عالمٍ لا شكل له، أنا قائم وتغيّر وجهي من الاندهاش فيه. سكّانه

(١) م ف س ٣٣٠أ-٣٣٢أ؛ نشرة كوليس ص ٦٨؛ م ح ع، ص ٥٢.

(٢) هذا الميمر خصّصه يوحنّا الدلياتي للحديث عن اختباره الروحيّ في درجتي الاستنارة والاتّحاد، حيث تلبس النفس النور الإلهيّ ممّا يثير عجبها ويثير أيضًا الكلام الروحانيّ إلى الله بالنعمة، وما يلفت النظر أنّ هذه الأحوال تقود إلى مشاهدة المحبّة وإلى عيشها بشكل عميق.

(٣) من نورها، أي من نور النفس التي أصبح النور الإلهيّ ملكًا لها.

يحبّونني وأنا مثل أهل البيت أتوسّطهم. نسيتُ حقارة كياني وابتدأت بدالةٍ أَلْجَلِجُ معهم اللجلجة[٤] غير المعروفة وأحاط بي أولئك كلّهم. أحاط بي بمراتبهم يعبِّرون عن الحبّ المشتعل بالمحبّة. وأولئك كلُّهم اصطفّوا حولي. يا أيّها الناس: «ما هذا العجب العظيم! يصعب هذا على المسمع الذي انصمَّ عن الأسرار والذي لا يستطيع تصوُّر وجودها».

(٣) فلتصمت من الآن كلّ الألسن وكلّ الحركات بالاندهاش غير المدرَك. حُسنُك يذهلني، حُبّك يُلهبني. محبّتك تقيمني كلّ وقت بالاحتراق المُحرِق. إنتشرت محبّتك في قلبي وفي كلّ عظامي. صَمَتَت فيّ كلّ حياة وأخذ طبعي في الرحيل. يا إلهي انتهت اللامعرفة المليئة حياة، ولا قوّة ها هنا على الكلام. بائعُ فراخ الحمام يُقرِّب حمامه ذبائح. قُربي منك مثل الابتعاد عن الكلّ. فليُسرع إليّ مجدك الذي غطّى عُريَ عقلي بمعطف نوره، عقلي الذي تعرّى وانحلّ بواسطتك، لِيَكْرِزْ لي بكلّ شيءٍ في الخُفيَة وبلا انقطاع: ألا يكفيك هذا التنعّم بدل كلّ شيء. إن رغبتَ في أن تأخذ واحدةً لك، فأيًّا من هاتين تريدها. فالاثنتان معًا لا يمكن أن تقوما. فإيجاد الواحدة بالمحبّة يؤدّي إلى إبعاد رفيقتها سريعًا.

(٤) فافهم يا رجل التمييز! أيّهما تختار أنت؟ تفحّص وانظر أيّ واحدة تقوم معك للأبد، وتقوم أنت فيها لدهر الدهور. فتلك خذها بحذر في كلّ بلدٍ وفي كلّ مكان. وفي كلّ عالم وفي كلّ حياة. وفي كلّ فعل وفي كلّ فكر. وفي كلّ حركة. وفي وقت ذلك الانبساط الذهنيّ

---

(٤) أَلجلجُ معهم اللجلجة: قال كلامًا بتردُّد. هذا الكلام هو، في هذا الإطار، من ثمار النعمة الإلهيّة، إذ إنّه يأتي في درجة الاستنارة.

لذهن جميع الناطقين، وكذلك للذي هو خاصّة الآب، إذ إنّ الشوق موجود في السؤال، في وقت دالّة الطالبين، اسمع الصوت الذي لا تسمعه أذنا بشر في بلد العجب، اِسمَعه يقول: «ماذا تريد يا بنيّ؟» فأَجِبه بصوتٍ حنون وبلجلجة طفوليّة: «أفتّش عنك يا أبي، لا لما هو حولك، ولا لما هو للكلّ».

(٥) وإثر عودة الطالبين من هنالك، يقول له ذلك الصوت: «تكفيك هذه بدل كلّ الصلوات والطلبات في هذا العالم». وهذا ما سمعته من أخ حدثت هذه معه. وقال: «إنّ هذا هو الروح، الذي قال القدّيس بولس، إنّه يدعو الآب أبانا»[٥]. آه للسان الجديد مغطّي بردعة الجسد وساتره! مَن أعطاك الإذن لتكشف اللاظاهر؟ بالدهشِ أَقَمْتَ العالمين. الروح أشار إليّ في الخُفْيَة أنّ حدود ذلك هو الصمت.

(٦) إنزع يا أخي سماجة الوجه المزيّن بالجواهر وامنع عنه نظرك لئلّا تنقص في عينيك تلك التي تعطى لك بواسطته؛ إذ تتذكّر في هذا الأمر الجحشَ الحامل سيّد القداسة[٦]. قال ذلك الأخ نفسه: «إذا أتى المسيح الآن في أيّامنا وقال لي: لماذا تشقى أنت ها هنا، لأجبته: أنا أشقى وراءك يا سيّدي[٧]، وأنت مخفيّ عنّي[٨]».

(٧) آه للفرح الذي لا يُطاق والذي يشتعل في ذلك الوقت في قلوب محبّي المسيح. يعسر على الإنسان تفسير هذا، حتّى ولو بالرمز. مَن أعطى يميني السلطان، فكشفت هذه الأمور بالأحرف للذين يتعذّبون من

---

(٥) راجع غل (٤، ٦).
(٦) راجع يو (١٢، ١٥).
(٧) راجع مر (٨، ٣٤).
(٨) يسوع هو الكنز المخفيّ، متّى (١٣، ٤٤).

أجل يسوع. المجد لك أنتَ الخفيّ والظاهر لمحبّيك لأبد الآبدين.
آمين.

الميمر الرابع عشر[1]

في الصلاة، وفي قوّة الطبائع الروحانيّة، وفي معرفة الله، وفي أفهامٍ كثيرة[2]

(١) مَن ذاق حلاوة المسيح يُرغِّب نفسه في الاستئناس بالصلاة. فهي أعظم من كلّ الأعمال التي تقرّب من الله. بواسطتها يختلط الذهن بالله ويصبح شَبَه صانعه ومستودع عطاياه وينبوع أسراره. وبها يفتح باب كنوز الله ويصبح أمينه ويقسّم ذخائره[3]. وبها يُجعل الذهن جديرًا بأن يرى مجد الله في غمامة نور عظمته داخل بلد الكائنات الروحانيّة، بعَجَبٍ وصمت أوقفهما الدهش عن كلّ حركة. وينذهل من جمال أشعّة النور الوفيرة الإشراقات التي تطلع عليه فترمي العالم في العَجَبِ من رؤيتها، وهي حياة الكائنات الروحانيّة وتنغّمها فتُسكِت حركاتها الناريّة بجمال عظمتها.

(٢) تلك التطويبات التي لا توصف تُعطى الذين يمارسون الصلاة. فَبِها

---

(١) م ف س ٣١٣ب-٣٢٠ب؛ نشرة كوليس ص ٧٤؛ م ح ع، ص ٣٤.

(٢) كما يقول العنوان، هذا الميمر يعرض لموضوع الصلاة وشروط قيامها وخصوصًا عندما تتوقّف صلاة الحركات وتتحوّل إلى تسبحة القلب المستديمة. ثمّ يتحدّث يوحنّا عن الصلاة التي تقود إلى العجب في الله وإلى بلد الكائنات الروحيّة أي الملائكة. وهذه الصلاة هي المدخل إلى رؤية ملكوت الله. والميمر يتضمّن لمحات متعدّدة حول رؤية الله في درجة الاتّحاد كما خبرها يوحنّا ويسعى للحديث عنها.

(٣) راجع متّى (١٦، ١٩).

يُدعَون إلى أن يصبحوا مسكنًا لله، وهو يكون مسكنهم وبلد راحتهم، الذي لا تُدركه الأهواء وأسباب الأهواء. وبالصلاة، تكون النفس متّحدة بالمسيح وترى في ذاتها إشراق عظمته الممجّد. وبنورها، ترى جمال طبيعتها وتفرح. وبمؤالفة الصلاة، تتّقد في النفس نارُ محبّة المسيح ويهذي القلب بالرغبة وتتحرّق الأعضاء كلّها باللهيب. ويبتهج حبًّا ويخرج عن نظامه. وينقلعُ العالم من قلبه ومن حركاته، ويرتجي الرحيل منه ليصبح في الله وليرى دومًا وجهه نعيمًا لحياته.

(٣) ومن المواظبة على الصلاة، يستحقّ الذهن العَجَب في الله، والعَجَبُ يقوده إلى بلد الكائنات الروحيّة الذي هو نور لا يوصف[٤]، فيصبح إذ ذاك في رؤياهم وفي عشرتهم ويتعلّم تقديسهم.

أمّا بخصوص عظمة جواهر الكائنات الروحانيّة، وجمالها الشبيه بجمال الله والمتّحد بمجده[٥]،

وبخصوص خفّة حركاتها الناريّة وانبساطها وسهولة انوجادها في أيّ مكان تريد أن تكون فيه، واقتدارها على فعل كلّ ما يشاء الله، وبحسب أمر الله نفسه،

وبخصوص كثرتها حيث إنّ العالم هو مليء منها،

وبخصوص اتّحادها، وإعلانها للتقديس بوجه عجيب ومحبّتها وفرحها بالله وفعل القوّة الخفيّة فيها التي بواسطتها تستقبل إشراقات الله وتجلّيّاته،

وبخصوص لذّة الاستنشاق المطيّب الذي تختطفه من الروح المعزّي،

---

(٤) هذا المقطع (رقم ٣) يعرض لتعليم يوحنّا الدلياتي في مشاهدة الملائكة والكائنات الروحيّة.

(٥) كما أنّ النفس بجمالها تتحوّل إلى الشبه جمال مجد الله.

والحلاوة التي تتنعّم بها من النظر بالله، وسكرها، ومرور الزمن سريعًا بالنسبة إليها، إذ منذ أن خُلِقَت حتّى الآن، هو محسوب عندها زمنًا قصيرًا نظرًا إلى اللذّة التي تتمتّع بها وتنسي الزمن وتخفّف الاتّصال كلّها،

وبخصوص طيرانها بالغلوة والرغبة والفرح، الذي يصير من دون انقطاع في النور الإلهيّ،

وبخصوص تعاليها الذي لا يقبل على الإطلاق أيّ حركة شهوانيّة ومنحرفة، وانبساط ذهنها الممجّد الذي يحوي كلّ العوالم ويحبس كلّ طبع ويعرف كلّ الحركات،

وبخصوص محبّتها البشر والحبّ والفرح الذي تشعر به عند النشطاء، وتبدّل أزمنتها[٦] والتدابير وترتيب طبائعها التي أخذتها بقوّة من الخالق، من أجل تحويل الاستعلانات من طغمة إلى أخرى،

وبخصوص محبّة بعضٍ بعضها الآخر والتربية التي بها تهدي البشر النشطاء وتنير أذهانهم إلى حين تقدّمهم صوبها إلى رؤية الله، حيث تُقتل الحركات الشهوانيّة وتتبدّل خساسة أفكارهم إلى هذيذ أفضل، إمّا بالتملّق وإمّا بالقضيب،

وبخصوص طبعها الملتحم بالله والمتعجّب من حسنه في كلّ وقت، وترتيب صفوفها المتّحدة بعضها ببعضها الآخر والمتميّزة بحكمة الخالق الذي هو فيها، ومساواتها في المعرفة والحبّ والحركات، حيث إنّ كلّ طغمة من الطغمات شبيهة بالأخرى في كلّ شيء،

وبخصوص تعجّبها بشأن ذاتها وبالله الذي هو فيها، وكيف يكونون واحدًا بالإشراق الموحّد لله عليهم،

(٦) الملائكة تنتظر هي أيضًا زمن الميلاد الجديد.

وبخصوص لجّة أسرار الله التي تتحرّك في أذهانها،
بخصوص كلّ واحدة من هذه الأمور، ليس للسان سلطان أن يُفصح عن كيفيّتها، بل الذهن الطاهر فقط هو الذي يراها ويتنعّم بها، ويفرح بها ويتعجّب، ويبتهج بوجودها وينذهل، ويسرُّ باستعلانها له ويندهش، وينخطف بواسطتها إلى الداخل منها ويغوص في الله ويُسبى بنظر حسنه ويتّحد بمجده وينذهل.

(٤) لا أحد دخل ها هنا ونظر إلى ما يرى في الخارج برغبة. لا أحد تلذّذ بهذه وتذوّق الحلاوة من تلك التي هي في الأرض. لا أحد رأى جمال هذه الأشياء، ثمّ يعتبر شيئًا في عالمنا أنّه حسن. لا أحد اغتنى من وجود هذه إلّا واحتقر الدراهم كأنّها الزبل. لا أحد استأنس بهذه وسكر بالهذيذ بها ولم يمقت في عينيه دالّة البشر وأنسهم. لا أحد انطلقت في نفسه وعظامه محبّة المسيح، ويقدر أيضًا أن يحتمل وساخة الشهوة المرذولة. لا أحد صار رفيق الملائكة واستأنس بأسرارها ولم يرذل رفقة العالم ومكائده. لا أحد سُبيَ عقله بحُسنِ ربّ الكلّ ويقدر أن يسبيه شيء ممّا في هذا العالم أو أن تسبيه شهواته. لا أحد ربط ذهنه بالله وبالاهتمام به وعليه أن يتحرّر بعدُ من شيء ما للارتباط بالاهتمام به. لا أحد وجد الله وعرفه ولم ينسَ العالم سريعًا.

(٥) هذه الجواهر الحسان يجمعها ويضعها في كنوز ذهنه التاجر المواظب على الصلاة[٧]، الذي يسبح دومًا في بحر الحياة ويعرك ذاته وينقّيها في لجج العظمة، لتزدهي جمالًا حيث تصبح لباس برفير المسيح

(٧) راجع متّى (١٣، ٤٤).

الملك الأبديّ. ذلك هو الساكن النشيط الذي تسبيه رغبة البحر الغاسل له، وهو ينفعه ألّا يجعل مخرجًا إلى الخارج منه.

(٦) طوباك يا مَن هو طائر في لجج النور بواسطة أجنحة الروح القدس، وهو محبوس في اللجّة التي لا يُدرك حدُّها. طوباك يا مطهّر أدناسه بالبحر اللاعَكِر، الذي أمواجه نور وأمواجه لهيب، الطاردة خطيئة الخطأة الذين يقتربون منه. طوباك يا مَن احتقر الأرض والدته، وعاد ليتغطّس ويولد ثانية من الحضن[٨]، ينبوع كلّ العالمين والطبائع. طوباك يا مبغض نهر جيحون وشرابه[٩]، ويا مروي نفسه في كلّ حين من ماء الحياة الذي لا يذوق شاربوه طعم الموت، والذي يجري من ينبوع الحياة الذي هو المسيح شعاع الآب. طوباك إذ إنّ صانعك هو عالمك، وغناك مستقرٌّ في روحك، وطعامك هو رؤيته وشرابك هو فعل روحه في نفسك. طوباك يا مَن لا تغيب شمسه، ولا ترى الليل في عيني نفسك. طوباك يا مَن لا يذبل حسنه، إذ تضيئه أشعّة نور مخلّصنا. طوباك يا مَن فرحه هو في الله، فلا ينتقل من نفسه للأبد. طوباك إذ وأنت على الأرض قد ارتفعت من الأرض، وإنّك تطوف مع الروحانيّين في السماء يؤانسك ربّك. طوباك يا مَن امتزجت حلاوة ربّه في نفسه بالحديث إليه. طوباك يا مَن احتقر كلّ المآكل التي مآلها إلى الفساد.

(٧) طوباك أيّها العامل عمل الصلاة، ووصلت إلى راحة الدهش، مريحة المتعبين في يقظة الروح القدس. وفي نفسك تسمع فعل أسراره القدّوسة وتقديس الروحانيّين لبهجتك وتنعّمك بدون فتور. طوباك إذ

(٨) راجع ١ بط (١، ٢٣).
(٩) راجع تك (٢، ١٣).

إنّ طوباك تحدث من دون تعب وهو يحدِّثُ فيك بالصمت. ها هنا يستريح كلّ العاملين التعبين، ويدخل كلّ المعذّبين في سبيل ربّهم إلى البلد الحسن الذي هو داخل كلّ الفضائل، لرؤية وجهه وللراحة بالاندهاش فيه، حيث لا يعرفون ثمار العمل. طوباك يا مَن اقتنى في نفسه ذخيرة الحياة، التي هي المسيح المتجلّي في محبّيه، حيث إنّ كلّ الغنى أصبح له. لا القلم ولا المداد من شأنهما أن يعبّرا عن التجلّي ذي الجمالات العجيبة الذي يحقّقه مخلّصنا في قلوب طالبيه، إذ إنّه يظهر في داخلهم وينير مرآة النفس بشعاعه، ويحرّكها بعظمة مجده، ويُعطى الصوت من دون عمل الإرادة، ممّا يُظهر للسامعين فرحها وابتهاجها وعجبها. فمَن رأى ربّنا في ذاته ومَن امتزجت نفسه بنوره، فليغلُ قلبه بالفرح عند رؤية هذه الأسطر التي تتكلّم على سعادته. وإذ ليس لنا ما نوفي معطيها في محبّيه، فلنملأ فمنا بشكره وقلبنا بحمده، ولنقل إنّنا غير مستحقّين، نعدّ أخصامًا وظالمين. ومَن استحقّ طوبى رؤية مجد ربّ الكلّ، هو عارفٌ بنقصان ذاته وهوانها، ويطلب أن يكون له انتقال من العالم بوجه سرّيّ، وأن يكون بالله بالاختلاط به.

(٨) الصلاة الدائمة ليست حركة الشفاه وكثرة الكلام وتركيب الجُمَل، بل إنّها تمجيد في القلب يطلع دومًا وفي كلّ موضع وفي كلّ زمن وبغير انقطاع. أو إنّها، من غير حركة إراديّة، ما يصنعه الروح في القلب، على شبه ينبوعٍ لا ينفد جريه أبدًا ولا ينقطع، إذ إنّه يُعطى لراحة القلب وتنعّم المتعذّبين والتعبين بالسجدات أمام ربّهم، وبالتسبحة القلبيّة بشدّةٍ وألم وورعٍ وهذيذ بالله. فمنها يُعطى الفعلة، تلك التي من الله، مع كلامٍ لا يفسّر هو أسرار الله الخفيّة، ورؤية الخفيّات. «فطوبى لأولئك الّذين لم ترَ عين»، كما قال الرائي. إذ فقط يستحقّون

الرؤية من الآن أولئك الذين استأنسوا الهذيذ بالله، وبواسطته أوقفوا حركاتهم المنفعلة وطهّروا قلوبهم، لكي يستطيعوا الشخوص بوضوح إلى الله بلا حجاب ولا ظلمة والاندهاش بأشعّة نوره. إذ من هذا يتدرّج هؤلاء بالروح للدخول في الغمامة وللتعجّب العظيم أمام جمال الثالوث القدّوس من دون شبع. وهذا يحدث على قدر الدرجات، والدرجات على قدر العمل والنشاط.

(٩) وأقول بإيجاز إنّ الصلاة المستديمة هي تسبحة القلب أو النظر المُحدِّق في الله والاندهاش به. إنّها فعل الساجدين الحقيقيّين بالروح، الذين يحبّهم الربّ مثل كلمة حياة الكلّ. الويل للنفس التي حرمت ذاتها من تلك التطويبات بفعل هواها الشرّير، ولم تتأكّد من ها هنا، من مكان انتقالها، ولم يناغِ فيها الروح بأسراره القدّوسة وتقديس الروحانيّين[١٠]، وأعمت ذاتها بذاتها[١١] لكي لا ترى جمال طبعها. تلك هي التي فيها الجحيم مخفيّ، وجَعَلت بينها وبين الملكوت في داخلها سورًا مظلمًا. ومَن ذلك الذي أغلق الباب في وجهِك[١٢] لكي لا ترين وجه ربّك. إنّ مفاتيح ملكوته[١٣] وضعها في يديك وأعطاك السلطان للأخذ والفتح، لإغناء نفسك وإغناء الآخرين.

(١٠) إلّا أنّكِ توانيتِ وتراخيتِ ونمتِ. وبفعل رخاوتك، نهب منك اللصوص ما هو بين يديك. آه منك أيّها البطن، مصدر الشرور كلّها. إنّ الجثث الميتة كلّها أُسلِمت له بواسطتك. وكلّ الذين قطعوا

(١٠) راجع أف (٤، ٣٠).
(١١) راجع يو (١٢، ٤٠).
(١٢) راجع مت (٢٥، ١٠).
(١٣) راجع متّى (١٦، ١٩).

رباطاتك بهم داسوا الموت. مَن الذي ارتبط بكَ ولم تجعله مصدرًا لكلّ الشرور؟ ومَن لم يحتقرك ولم يظهر جليًّا أكثر من الشمس؟ ومَن الذي اهتمّ بك أكثر من القَدْرِ المرتّب، ولم يبتعد عن خالقه؟ ومَن لم يُخضِع ويستَعْبِد كلبك المجنون، ولم يصر صديقًا حقيقيًّا لربّه؟ طوبى لمَن ازدرى شهوة تنعّماتك، فيكون تنعّمه بالله في كلّ حين. طوبى لمَن لم يسبِ عقله برائحة تبدّل مراتبك، إنّ رائحته لا تشبهها رائحة المسك. طوبى لمَن ازدراك في كلّ شيء، إذ إنّ الله يكرّمه في كلّ حين. ولا أحد قتل الأهواء وأبادها من نفسه، إلّا ذلك الذي استأنس بالهذيذ بالله في كلّ حين. ولا أحد يجد هذا بالتمام، إلّا ذلك الدائم في الهدوء وفي الانحباس وراء الباب. لكن إذا أشفق علينا غير العلماء يقولون لا يقدر الجسد أن يعيش من دون التلهّي في الخارج، وخدمة حركة الهواء.

(١١) ولكن أيّها الحمقى، نحن الذين أصبحنا حكماء بالمحبّة، نقول من دون استحقاق: «كيف تستطيع النفس الثبات في الحياة من دون لمس الهواء بلا حدود؟» يجيبون عن ذلك قائلين: «إنّها تحيا بنسيم الهواء العقلانيّ». لذلك يحمي الجسد أيضًا بفعله ولو أنّه متداخل بمكانه، وفي الأنفس الطاهرة يَهبُّ ويظهر أكثر في داخلنا، في المكان الذي يشرق فيه الجمال الممجّد لتنشّق ساكنيه. الهواء الحسّيّ هو لخدمة الأجساد، وهو خفيّ وغير منظور للنظر المحسوس. الهواء العقلانيّ هو لخدمة العقلانيّين القدّيسين، يُظْهِرُ مجده لنعيمهم، وتمتلئ منه ضمائرهم الشاخصة إلى رؤيته. إلّا أنّ ما يُكشف لهم لا يماثله شيء، لأنّه يتعالى عن كلّ الكائنات المخلوقة في كلّ عالم، وهو بذاته شمس بلدهم. ولأنّه ينبسط في كلّ شيء، ولأنّ انبساط نظرهم يُمنع عن الكلّ، فإنّ الكلّ يتعالى أيضًا من أمامه كما لو أنّه لم يكن، عندما

يغطس بالأحرى في نوره.

(١٢) طوبى للنفس التي ترحل، في كلّ حين، من بلدٍ ليس هو بلدها، إلى بلدها الآتي، وهي تطير وتحلّق في الجوهر الإلهيّ، مع الطبائع الخفيفة الطيّارة، المندفعة نحو لجج العظمة، وهي تتحرّك معهم الحراك الحيّ بفعل الروح القدس، وتنذهل وتتعجّب وتعلن «قدّوس»[١٤] بالاندهاش. وتتنشّق بلذّة لا تُفَسّر. فلنخطُف أنفسنا لنلج داخلنا فنجد ملكوتنا المخفيّ، أعني لنرى إلهنا المغطّى بسُحب النور وغماماته، التي هي جمال أقنومه، والتي بها هو خفيّ عن كلّ نظر وعن كلّ رؤية. ولأجل ارتفاع محبّيه، من مجد إلى مجدٍ أفضل يوحّد ناظريه ويبدّل شبهه. السُحب والغمام تُسمّى بالنظر إلى ما هو. ولأجل ذلك إنّه يُظهر مجد طبعه إلى أحبّائه، لا طبعه بالذات[١٥]. وقد قيل إنّ أحدًا لم يره ولا يمكن أن يراه. أولئك الذين، لطهارة قلوبهم، وحدهم يرون الله في قلوبهم[١٦].

(١٣) وكما أنّه لا يمكن للنظر الجسدانيّ أن يتفحّص طبيعة النار، بما أنّه يرى فعل طبيعتها ولا يرى طبيعتها، إلّا أنّه متيقّن أنّه يرى، من فعلها، طبيعتها الحقيقيّة، كذلك يتيقّن الناظرون اليقين الكامل، يقين التوكّل من دون تفحّص، أنّهم يرون الطبيعة المحجوبة عن الكلّ وفيها يتبحّرون بحركة وديعة لذيذة ممتزجة بفرح أنيس تضطرم بمحبّة هادئة متّحدة بالعجب. ومع كلّ الدرجات التي يصعدونها بالمجد، يظنّون أنّهم وصلوا إلى المنتهى. وإذا ما دخلوا أيضًا في الرؤيا

---

(١٤) راجع أش (٦، ٣)؛ إنّ إعلان القدّوس يأتي إثر مشاهدة الكائنات الروحيّة.
(١٥) الرؤية تتناول المجد لا الطبيعة الإلهيّة بذاتها.
(١٦) راجع متّى (٥، ٨).

واندهشوا بالنور الوفير نسوا درجتهم الأولى، وظنّوا أنّ ذلك هو نهاية النهايات، لأنّ فيهم حركة كافية ليتحرّكوا في كلّ موضع برغبة في الاستزادة.

(١٤) إمتلأت القوّة الناظرة دهشًا من الرؤيا المُمَجِّدة، وسَهيَت عن الحركات بالانذهال. وتبدَّلت الحلاوة والفرح باللذّة. وتقديسُهم في داخلهم يحدُثُ بفعل الروح القدّوس. وهو ليس صوتًا، بل حركة شيء مقدّس تحدث في أقنوم المسيح القدّوس، ابن الله، لتبجيل مقدِّسه. إلّا أنّ الانذهال بجمال العظمة قد سباه ويتحرّك التحرّك اللذيذ بفعل الروح القدس، وهذا هو تقديسه. وينبسط بذلك الجمال ويتّحد به ويغطس في مجده وينسلب دهشًا برؤيته ويستنشق رائحته اللذيذة، أعني أنّه ينعّم ذاته ويندهش هو بها. ذلك يكون بمجد الحَسَن المتّحد بذهنه، وبإشراق أشعّة نوره الممتزجة بذاته، وهو يحمل الوداعة والعفّة في كلّ حركاته والتعظيم بعجبٍ. وكما أنّه لا أحد هو شبيه الله، كذلك لا عمل يشبه التأمّل به. وكما أنّ مخرج الشمس هو أفضل من مخرج الكواكب، كذلك إشراق الحياة الذي يضيء في قلوب المتأمّلين بالله على الدوام هو أفضل من إشراق تلك الشمس التي نرى بالعين البرّانيّة. وكما أنّ انبساط نظر العين أوسع وأعرض من العين نفسها، كذلك رؤية النفس التي اتّحدت بالله هي أوسع من جسمانيّة الكلّ. وكما تنبسط رؤية العين في الجوّ من دون مانع، كذلك تنبسط رؤية العين التي استنارت بالله، في كلّ طبيعة ومن دون مانع، كما أنّ الله غير محدود وكذلك مسكنه. له التمجيد من كل ساجديه لأبد الآبدين. آمين.

الميمر الخامس عشر[1]

في أنّه لا ينبغي أن يلوم أحد الآباء
إذا تكلّموا بشكل يتجاوز قدرة معرفة السامعين[2]

(١) من الآباء مَن يتكلّم خَفِيًّا في أسرار الله وفي وحدانيّة المسيح ربّنا، منهم مَن يتكلّم روحانيًّا، ومنهم مَن يقيس معرفته على قياس صبا السامعين. وهذه الأفهام كلّها يظهرها الروح في عبيده لتدبير الجميع، إذ يعطي كلّ الأذهان القابلة له حاجتها من الحياة، كلًّا بحسب درجته. فمَن ذاك الذي يتكلّم بعاليات العارفين؟ تُخفى عنه الوسطانيّة والسفليّة. فتلك الرفيعة توضع أمام رؤية ذهنه وبها يتأمّل ويصبح حكيمًا والذي يتحدّث بالوسطانيّة والدنيا، إنّما يكون ذلك لتقدّم التلاميذ. وهذه تظهر في ذهنه لتفسيرها، إذ إنّ على كلّ درجة أن تجد لها معلّمًا يماثلها، ويرتفع بواسطته نحو معرفة الأزليّ، ربّ الكلّ، المعرفة الواحدة، التي هي غاية وميناء ومنزلة كلّ العقول الناطقة.

---

(١) م ف س ٣٠٩ب-٣١١أ؛ نشرة كوليس ص ٦٦؛ م ح ع، ص ٣٠.

(٢) هذا الميمر خصّصه يوحنّا الدلياتيّ للحديث عن الكلام أو المصطلحات أو اللغة التي بواسطتها يعبّر المتوحّد عن اختباره الروحانيّ للمستمعين. بالنسبة إلى الدلياتيّ تعدّدت أنواع الكلام التي استخدمها الآباء الروحيّون، إلّا أنّها من وحي الروح القدس.

(٢) مدبّرو رعيّة المسيح فقط، علّمهم الروح كلّ الأسرار الرفيعة والوسطانيّة والدنيا ليكونوا مع الكلّ مثل الكلّ، ولكي يصل الجميع بواسطتهم إلى الحياة[٣]. وكذلك، إنّ كلّ ذهن إذ يتقدّم وينتقل إلى مرتبة أعلى من السابقة، ينسى المرتبة التي اجتازها وتختفي عنه أفهامها، ويصبح حكيمًا بتلك التي هو قائم فيها، ويضيء الروح رشده. أمّا الجهلة، إذ لا يعرفون حكمة الله، الكثيرة الأفهام، نراهم يلومون الآباء المتكلّمين بالروح القدس، حيث إنّهم يحسبون الذي يتكلّم بالأسرار الخفيّة، الفائقة معرفتهم، غريبًا وغير صادق. والآخر الذي يتحدّث بالروحانيّات مادّيًّا لتعليم الأطفال، يعتبرونه ضالًّا وغير عارف. ولم يفطنوا أنّهم عندما يعيّبون أولئك، إنّما يشتمون الروح الفاعل فيهم. ولو كان يتعامل معنا بما له مثله، لكانت أسراره كلّها لنا من دون لذّة، إذ إنّها تستتر عنّا. وهذا ينطبق على سرّ تدبيره الرفيع والعطايا الخفيّة المشرقة بلا انقطاع في ملائكة النور لتنعيم حياتها: إنّ ذلك لا يعطينا لذّة، إذ هو في بلد محجوب عن معرفتنا ويشرق في أذهان طاهرة شبيهة بالله.

(٣) إنّ الروح يتنازل بحبّه بسبب ضعفنا ويتكلّم في قدّيسيه مثلنا لتنشئة طفولتنا[٤]، لأنّه لا يليق أن نحسب الذي يتكلّم روحانيًّا عظيمًا فقط من أجل تعالي فهمه، وأن تدعو مَن يعلّم الصبية ناقصًا بسبب مادّيّة كلمته، إذ إنّ الروح الذي يفعل كما يشاء بكلّ أولئك هو واحد. وهو يعطي كلّ رعيّة المرعى الصالح على يد راعيها[٥]. كما لا ينبغي أن

(٣) راجع **أف** (٤، ١١).
(٤) راجع **روم** (٨، ٢٦-٢٧).
(٥) راجع **يو** (١٠، ٢-١٦).

يفتخر ذاك الذي يفسّر على ذلك الذي يكتب ألف باء، لأنّ الروح ينير أفهامه بأحرفه. وكذلك لا يليق بالذي هو قائم في الروحانيّة أن يستهين بمعلّم طفولته الذي بواسطته اقترب من معرفة الكمال. وكما ثبت الروح بلا تبدّل في كلّ تبدّل صَنَعَهُ لتدبير حياة السامعين، كذلك الذين هم منه يكونون عِظامًا. فالناطقون بالمستورات معلّمو الظاهرات هم في منزلة واحدة يستحقّون لديه التمجيد.

(٤) ألا أنّ كلّ واحد منّا يطلب إلى آبائنا، بسبب قلّة معرفته، أن تكون تعاليمهم مثل درجته. ولم يفطن أنّ هوى المعلّم ليس مَن يتكلّم بالأمور المتعالية أو الدنيا. بل إنّ الروح هو الذي يتكلّم بالذي له إلى مَن هو له لحياة الكلّ. إذ يخلط في الجميع لذّة تنعّمه من أجل الذين يطيعون، إذ بواسطته يقتربون للمشاركة والخلطة معه.

(٥) لك المجد يا ربّ الكلّ، المحجوب عن الكلّ. إنّك تفعل في الكلّ لتظهر مجدك للكلّ، بحسب درجة قربه منك إلى أبد الآبدين. آمين.

الميمر السادس عشر[1]

في ما يقوله آباؤنا في مصير الأنفس بعد انتقالها[2]

(١) عندما طُرِحَ السؤال: لماذا بعضٌ من آبائنا يقول: إنّ الأنفس بعد انتقالها ترتفع إلى السماء، ومنهم مَن يقول: تنتقل إلى الفردوس، وآخر يقول: تُدفن مع أجسادها في القبر، وآخر يقول على عتبة القبر تقوم وتترجّى الابن مخلّصها، أمّا أنفس الخطأة فمضطجعة في الظلمة، وأنفس الصدّيقين في النور ساكنة وذلك قبل القيامة أيضًا[3]،

(٢) كما شاءت نعمة ربّنا وأعطتني بصلاتك، اسمع يا أخي أقول لك قولًا موجزًا وبيسير من الكلام: حتّى ولا كان هؤلاء يرون رؤية مختلفة، إلّا أنّ السرّ الذي يتكلّمون عليه هو واحد، وهم جميعهم أوانٍ مختارة عجيبة صنعها الروح القدس، وهم ناظرو الخفيّات، لأنّ الذين

---

(١) **م ف س ٣٢٤ب-٣٢٥ب؛ نشرة كوليس ٦٩؛ م ح ع**، ص ٤٦.

(٢) خصّص يوحنّا الدلياتيّ هذا الميمر للحديث عن حالة أنفس الموتى قبل القيامة.

(٣) إنّ عقيدة رقاد الأنفس قبل القيامة، لها صداها عند أفراهاط ومار أفرام، وهي عقيدة اعتمدتها الكنيسة النسطوريّة. أمّا عند يوحنّا الدلياتيّ فإنّ أنفس الخطأة هي برفقة الشياطين ولا نظر لها. أمّا الأنفس المفارقة التي هي برفقة الملائكة فإنّها تتمتّع بالاستعلانات الإلهيّة وبالإشراقات أو التجلّيات التي لا توصف الآتية من الجوهر الإلهيّ. للمزيد من المعرفة، راجع R. Beulay, *l'Enseignement spirituel..., op.cit.*، ص ٤٨٨-٥١٠.

يقولون إنّ الأنفس تتعالى إلى السماء يعرفون أنّها إلى بلد الروح تتعالى حيث تطوف القوّات غير المنظورة، إمّا مع العلويّين وإمّا مع المجموعات التي دُفِعت منها، إذ إنّ كلّ واحدة تختلط برفاق عملها. والذين قالوا إنّها إلى الفردوس تنتقل، إنّما يقولون الأمر نفسه، إذ إنّها تطوف ببلدٍ غزير بطوبى سرّ تجلّيّات الله، وتضيء عليها من الجوهر إشراقات لا توصف. وآباؤنا يسمّون بلد نور معرفة الله فردوسًا وكذلك السماء التي فوق، إذ هي تتحرّك دومًا بالتمجيد الجديد لسرّ التجديد. لكن لم يبلغ بعد الزمان الذي تقبل كلّ واحدة منها ميراثها بالكامل من أيّ نوع كان.

(٣) وتلك التي قالوا عنها إنّها تُدفن في القبور مع أجسادها، فهذا حقّ أيضًا، إذ إنّها بالله دُفنت. فبموجب السرّ الذي دُفن الاثنان به في التعميد، هما في الله معمّدان حتّى القيامة. وإن يُقل إنّها على مدخل القبر، فهذا يعني أنّها تقتني المعرفة، والرجاء موجود فيها لقيامة أجسادها. وتلك التي قالوا إنّها كما لو كانت نائمة، فمن أجل الإشارة إلى سرعة الزمن عليها، لأنّ الطول الكثير في نظرنا، إنّما هو محسوب عندها كدقيقة من الزمن لسرعته. وكما أنّ الذي هو غارق في النوم قد انتقل من التقلّب الذي ها هنا، ولم يصل بعد إلى الموت الحقيقيّ، فإنّ الأنفس وصلت إلى المعرفة الوسطانيّة، وهي أعلى من التي ها هنا، إلّا أنّها لم تصل بعد إلى المعرفة التي تُعطاها بالتمام في عالمها بعد القيامة.

(٤) وبتلك التي يقولون إنّها مثل الطفل الذي لم يقتن بعد المعرفة، فهم يظهرون أنّها، بالنسبة إلى مقدار المعرفة التي يعطيها إيّاها خالقها من بعد القيامة، لم تقتن أيّ معرفة على الإطلاق. إنّهم أيضًا يسمّون

لامعرفة معرفة هذا العالم، ويقولون إنّ لا وجود لهذا العالم، عندما يتكلّمون على العالم العتيد.

(٥) طوبى لمَن ثبَّت خطوات رشده في ممارسة المعرفة القدّوسة! إذ أيّ أمور مجيدة ومتعالية يكشفها له الله بالرؤية والسمع والمعرفة! لا يُعطى اللسان سبيلًا للحديث عنها، أو اليمين أن تصوّرها بالقلم أو المداد، بل إنّها مصوّرة في القلب الطاهر ومطبوعة في العقل النيّر لتنعّمه، إذ إنّه يتبحّر بمختلف مراتب الحكم والعناية تبحّرًا روحيًّا ويصرّح مع الطوباويّ بولس ويقول: «إنّ أحكامك لا تُدرك»[٤]، وطرقك مَن يتبعها، سوى ذلك الذي تنيره أنت، فيقتني العقل الحقيقيّ لمسيحك الله، الذي يعطي ذاته مع كلّ ما له موهبة لحبيبه. فله المجد من كلّ العقول التي قدّسها لمعرفته لأبد الآبدين. آمين.

(٤) راجع روم (١١، ٣٣).

الميمر السابع عشر[1]

في العطايا التي يهبها الروح للمستأنسين بالهذيذ بالله
وشهادات من معتادينها
وفي النعيم الذي يتنعّم به أولئك الذي يتّحدون بالله،
ذاك الذي سعادة لذّته لا ينطق بها،
وفي هذيذ الأذهان به، حيث تستحقّ رؤية الله والتنعّم به[2]

(١) بخصوص مواهب الروح التي سألتَ أن أكتب لك عنها، مَن يقدر أن يتكلّم؟ كيف يمكن أن نتصوّر الأسرار الروحانيّة في الأجساد، فإذا كانت اليد الكثيفة لا تستطيع أن تقبض على الهواء الكثيف، فمَن يصوّر فعل روح الحياة داخل الأجساد؟ وإن كان كلامنا هذا الذي نتكلّم به، لا يستطيع أن يظهره لعيوننا، فمعطي الكلمة الناطقين، مَن يستطيع أن يظهره بالصور؟ وإن كان ذلك الذي هو كثيف، كثافته ألطف منّا، فذلك الذي، نظرًا إلى لطافته، صارت الأذهان الروحانيّة

(١) م ف س ٣٣٤ب-٣٣٩أ؛ نشرة كوليس؛ نصّ غير محقّق؛ م ح ع، ص ٥٧.
(٢) الموضوع الرئيسيّ في هذا الميمر يركّز على دور الروح القدس المحرّك الأساسيّ للنموّ الروحيّ، وهو نموّ المعموديّة وعطاياها بواسطة النعمة في أثناء مرحلتي التطهير والاستنارة، بل خصوصًا في مرحلة الاتّحاد، حيث يقوم الروح القدس بكشف الأسرار الإلهيّة للمتوحّد وهي أسرار الآب، ويقوم أيضًا بتوحيده بالحُسن العجيب. بالمختصر، إنّ يوحنّا يضعنا في جوّ الرؤيا التي يصل إليها المتوحّد في ختام سعيه وجهاده.

شبيهة بالأجساد، فمَن يعلن للعالم الكثيف عطاياه التي هي روح حياة الروحانيّين؟ وكيف تطلب أنتَ ما لست معتاده؟ لكن إن أبعدت طلبتك ذات المجد الباطل، يحسب ذلك عليّ وقاحة. وإن لم آخذ تجربة أولئك بنفسي لكسلي، بل ممّا قد سمعت من الصادقين الذين اعتادوها وتنعّموا بها، فإنّي متّكل على فهمك.

(٢) قال واحد منهم: «إذا كانت السجدة تتبعها الحركات[٣]، فذلك يعني أنّ الذهن لم يتّحد بعد بالله ولم ينخطف باندهاش رؤيته». وقال آخر: «أعرف إنسانًا وصل إلى ذلك من بعد التعب والعمل القاسي بالقوانين[٤]، إذ إنّه لم يستطع أن يقوم بالخدمة أمام إنسان آخر، حيث كان يقوم بسجدة في بداية خدمته أو في وسطها فينخطف عقله بالدهش في الله. وكان ينقطع عن الحركات والمعرفة بلذّة وكان يثبت الليل كلّه من دون تذكُّر. وعندما كان يقوم على رجليه، وهو مستأنس بخدمته، تحصل في عقله زيارة الروح فيسكت ويقوم هكذا بلا حركة. إنّه لعجب عظيم كيف تحتمل أعضاء الجسد، إبّان هذه المدّة كلّها، الانحناء أو الوقوف من دون حركة. إلّا أنّه لم يكن يشعر بالتعب، نظرًا إلى الأنس الذي كان يملأه». وكان يقول: «وأحيانًا، كنتُ أقوم من هناك لأمشي حتّى ألتقي حائطًا فلا أعرفه. يؤخذ من أمام نظري ومن ذاكرتي كلّ شيء. أرى فقط البلد النقيّ. تلك هي ثمار الأعمال والأتعاب».

---

(٣) أي التشتّت والتأثّر بما هو خارجيّ. وهذا القول منسوب إلى واحد من الآباء الروحيّين.

(٤) يعني بهذا قوانين التوحّد والتقشّف والزهد في الدير والقلّاية. وممارسة القوانين وواجباتها هي معيار ممَّن يودّ الوصول إلى مرحلة الاتّحاد الكلّيّ.

(٣) وقال آخر: «في أثناء العديد من الأيّام، يظهر لي أنّ استعمال الأطعمة هو من الزيادة والفضول، لأنّ حسن ربّي يكمل لي حاجتي ويبعد تلك الأشياء عن فكري». وقال أيضًا: «محبّة المسيح ربّي غرّبتني عن البشر والبشريّة». وقال آخر: «في خدمتي وصلاتي لا أعرف تعبًا، لأنّ ليس فيهما حركة بإرادتي، بل أنا أنصت فقط للروح في ذاتي وأتلذّذ». وهذا معنى القول «إنّ الروح يصلّي مكاننا»(٥). وقال آخر: «إذا كان لسانك غزير الحركات، فقلبك انطفأت فيه الحركات الطاهرة. وإذا كان لسانك صامتًا وقلبك يغلي بالحركات الطاهرة، فطوباك إذا حرّكته بالروح، فيرفعك إلى هدوء الحياة. فلا حركة هناك ولا تحرّك بفضل الدهش. سكّت لسانك ليسكت قلبك. سكّت قلبك ليتكلّم فيه الروح. وإن كنت تتكلّم فقط بلسانك وبقلبك، فكلامك فارغ وخاسر»(٦). وقال آخر: «أنا أعرف الله من قبل العالمين، لأنّ معرفته، تلك التي أتت بالعالمين إلى الوجود أشرقت في وجداني، وتقدّمت على معرفتي الكون كلّه». وقال أيضًا: «سرّ اتّحاد وحدانيّة المسيح ربّنا هو أبدًا بلا ابتداء. لأجل ذلك إنّ ناسوته أيضًا هو بالمعرفة أزليّ». وقال أيضًا: «من قبل أن أعرف ذاتي، عرفتُ المسيح، وسبقت معرفتي إيّاه معرفة وجودي، إذ إنّ الروح وحّدني به». وأيضًا قال: «أنا أعرف الله من دون اسم كما كان بذاته. وهو مزمع أن يعرّف بلا اسم». وقال أيضًا: «أولدني من قبل العالمين، ومزمع أن يولّدني على شبه ابنه». وقال أيضًا: «جاهل مَن يوجد في ذاكرته شيء من العالم، ما خلا الميراث الذي يخصّه،

(٥) راجع روم (٨، ٢٦).
(٦) الكلام الحقّ هو الكلام المستند إلى الاختبار الحقّ.

أعني فقط القبر». وقال أيضًا: «إن كنتَ وُلدتَ بالمسيح، فكلّ إنسان هو أخوك. فلا تحبّ نفسك [في شيء] أكثر من أخيك».

(٤) وقال أيضًا: «إذا كانت شهوتك عالميّة، فهي شهوة الكلاب والخنازير، أعني بذلك البطن والنخاع. وإن كانت رغبتك في الله، فهي رغبة الملائكة». وقال أيضًا: «باستثناء الحاجة إلى القوت القليل، فإنّ الراهب الذي يحفظ كنزًا، فذلك هوًى شيطانيّ، إذ يحفظ ذخيرة بغير حاجة لها ولا يؤمن بتدبير الله. لذلك همّته وحرصه يتحوّلان إلى عذاب له. الصدّيق يطرح همّه على الربّ، وذلك يوزّع باعتدال. يدُ الربّ مفتوحة أمامه وهي ممتلئة، وهو يأخذ منها ويعطى ببساطة وبلا حساب. مَن يحفظ شيئًا زائدًا ولا يريح المحتاجين، فذلك يكون من الشيطان الشرّير. مَن فرّق ما له بالرحمة للمحتاجين، هو الحكيم بحقّ. ولذلك عندما تكون يده فارغة، كلّ ساعة تمتلئ، ولأنّه أعطى، يأخذ أيضًا. وهذا الأمر ينسحب على العطايا، إن كانت روحيّة أو مادّيّة. فمَن يريح الآخر في شدّته أو في شدائده، يمتزج بالحياة. ذاك الذي يكتفي بأن يرتاح فقط، راحته تكون له عذابًا(٧)».

(٥) وقال أيضًا: «الراهب المهتدي الذي يقتني فكرة الوحدانيّة مع الواحد، عندما يختلط بالآخرين، يتبعه السجس المبلبِل وكثرة الحركات، ويختزي عقله من النظر في الواحد». وقال أيضًا: «المناظر الأنسيّة تطفئ الرغبة في الله وتوقظ شهوة الأهواء في النفس أكثر من تزايد استعمال الأطعمة. هذا الأمر أدركته عبر التجربة».

---

(٧) لدى يوحنّا، حسٌّ قويّ، مستمدٌّ من الإنجيل ومَثَل يسوع الفقير، فالإنسان المحتاج إليه دعوة للراهب والمتوحّد أن يعطي من دون حساب.

وقال أيضًا: «ذلك الذي يكتب أسرار الروح، في حين أنّ الروح لا يجعله يكتبها، لا تختلط حلاوة الروح بكلامه. لذلك يبدو ذلك غير مستحبّ لدى الناظرين إليه، ويسمعهم السامعون من دون لذّة. أمّا الذي علّمه الروح أسرار الروح ويكتب ما يجعله الروح يكتب، فإنّ الروح يختلط بكلّ كلامه. كلّ السامعين يستنشقون الحلاوة التي تطلع منه وقلوبهم تمتلئ حياة من كلامه وحروفه تقلع الأهواء منهم، إذ إنّ فعل الروح ملتحم بكلامه. وأيضًا بساطة تعابيره تبدو جميلة لقارئيها. ذلك هو قلم الكاتب الماهر الذي به يكتب سِفَره المقدّس».

(٦) وقال أيضًا: «أعظم الأعمال ذكر الله الدائم الذي يقلع الأهواء من النفس. فلا أحد يتعب منه، والراحة التي تولد منه يصعب على اللسان أن ينطق بها». وقال أيضًا: «الوقعة الدائمة أمام الله في الصلاة هي سرّ، أعني بذلك أن يقع العالم من القلب، والمداوم عليها هو ميت عن العالم، غير مائت، ويقوم مع المسيح». وقال أيضًا: «الاتّضاع هو أرض حاملة الفضائل. فإن هي انعدمت، تهلك الفضائل إلى الأبد. بين الفضائل، الدهش في الله هو الأفضل. جميعهم انطلقوا إلى ذلك، وحتّى الملائكة هم فيه كلّ ساعة مندهشون، ولو أنّنا نرى أنّ أقنومهم أعني طبعهم كلّه يغلي بحركات نورانيّة، إلّا أنّ حركاتهم عجب وهدوء عظيم، وكذلك فإنّ خفّة طيرانهم تحدث بالعجب. وسألته أنا: كيف يبدو لكم طبعهم؟ قال لي: كمثل الطبائع الكثيفة لعينَي الجسد، وأكثر من الأجساد للعينين، لأنّ العقل الناظر إليهم ينبسط فيهم وعالمهم هو نورٌ من دون شكل، أعني بذلك أنّ الله هو عالمهم ومجده شمسهم، متّحدون بعضهم ببعض ومتميّزون، وإن كان بلدهم واحدًا، وملتحمون بعضهم ببعض، وكلّ واحد منهم قائم في موضعه من ذاته ولذاته، أعني إن

كلّ واحد طغمته عظيمة بقدر عِظمَ ارتفاع الطغمة عن الطغمة[٨]. ونور أقنومه وتداخله في المعرفة هما بقدر معرفته الرفيعة وأيضًا بقدر عظم نور أقنومه. ويقومون في موضع لا فوق فيه ولا أسفل بالنسبة إليهم. كلّهم واحد في اتّحادهم ومنفصلون. وإذ هم منبسطون الواحد في الآخر، فإنّ كلّ واحد منهم قائم بذاته ومن ذاته من دون اختلاط بالآخر. فذاك هو الدهش العظيم للعقل الناظر. فالكلام لا يجرّ الحديث عن هذا السرّ. العقل فقط هو الذي يعرفه. ذلك الذي من الروح يتعقّل، هو الذي يعرفه وينظر إليه. وإذا كان الأمر هكذا، فلنتعجّب وندهش نحن أيضًا لنرى فينا أيضًا هذا السرّ، ذلك الذي نحن مزمعون أن نصل إليه في الآخرة».

(٧) كما أنّ حمار المساكين، عندما لا يجد لنفسه القوت الكافي، ينسحق ويضعف وتنطفئ فيه أيضًا شهوة النكاح، وإذا ركبه صاحبه تنخزي أفكاره وتتّضع لخساسة حماره، هكذا الراهب، عندما يقمع بنقص القوت وخساسة اللباس، تنطفئ الشهوات العالميّة وتتّضع نفسه عن الافتخار. لا شفاء لألم المفتخِر، كما يتعالى بأفكاره، كذلك تبتعد معرفة الله عن نفسه، فيهبط إلى عمق الظلمة. وكما أنّ السمك الساكن في البحر يفلت من الصيّادين، نظرًا إلى عمقه، فيكبر فيه السمك وتعظم قوّته، بحيث يُقتلُ الصيّادون أحيانًا بقوّته العظيمة، في حين أنّ قليلًا من السمك الذي يقطن في الأنهار الصغيرة يفلت منهم نظرًا إلى ضعف قوّته، كذلك المتوحّدون الذين هم مستأنسون بالهذيذ

---

(٨) يوحنّا يتحدّث هنا عن سرّ الوحدة والاختلاف في ما بين الأجواق الملائكيّة، حيث إنّ الطبيعة واحدة في حين أنّ الاختلاف واضح على مستوى السموّ والنورانيّة ومعرفة الله.

في الله، الذي هو بحر الحياة[٩]. فهم عذاب الصيّادين الماكرين الذين لا يقدرون عليهم. أمّا الذين يتعبون في ممارساتهم الزهديّة، وهم بطّالون من الهمّ في الله، فإنّ النزر القليل منهم يفلت من صيّادي الإثم. فليأتوا إلى بحر الحياة الذي يحلّون فيه بغير خوف. وكما أنّ نظرة الأسد تُفزع الحيوانات، كذلك أيضًا يخاف الشياطين من نظر المتوحّد المستأنس بالله. وما إنْ يقاتلوا راهبًا غير مغلوب ويتضايقون منه، حتّى يتحوّلوا نحو ذلك الذي سباه هواهم، فيستريحوا من عذابهم بتمام هواهم في ذلك المطيع لهم. فهذه هي الروح النجسة التي خرجت من الإنسان الذليل لتصنع حربًا مع الأقوياء، ولم تجد راحة لها، فأخذت معها آخرين وجدتهم هناك في ضيقة بسبب قتالهم، فأتت بهم ليستريحوا في مسكنها الذي يزيّنه هواها المنافق.

(٨) مَن طرح همّه على الربّ في كلّ شيء ومَن جعله أساسًا لجميع أعماله، أعني أنّه يتمّم كلّ شيء بمساعدته، فإنّ غناه لا يُسلب منه، وإن كان نائمًا في وقت ما، فإنّ حاضنه لا ينام. ومَن يظنّ أنّه يعمل بقوّته، فباطل هو يعمل. إنّه يعمل النهار كلّه، وإذ هو راقد، يُسلب، لأنّه لا يجد لبيته بناءً ولا لمدينته حافظًا. وكما أنّ ذلك القائم على البحر يستقي ويسقي الكثيرين، ولا تعوزه المياه بسبب كثرة الشاربين، كذلك أمر الذي موهبة الروح القدس هي حالّة في نفسه، لن ينتقص منها من كثرة الذين يأخذون من موهبته. وكما أنّ النار لا تنقص ولا تضعف قوّتها إذا أخذت منها مشاعل كثيرة وذُهب بها إلى

(٩) الاتّحاد هو الطريق إلى معرفة الله، بمقدار ما تكون النفس مندهشة بالله بواسطة النعمة. في هذا الميمر، تتوالى الجمل والمقاطع الشواهد المنسوبة إلى الآباء والقدماء.

مواضع متعدّدة، هكذا ذلك الذي يسكن المسيح في نفسه لا ينتقص من النعمة إذ يعطي منها الآخرين. وكما أنّ النار تغسل وتطهّر كلّ أواني الذهب والفضّة والحديد والنحاس وما أشبه ذلك، وهي تدوم في طهارتها من دون أن تصدأ أو تتدنّس، كذلك ذلك الذي الروح القدس يجدّد نفسه لطهارة الآخرين. فإذا أخذ كثيرون الطهارة بواسطته، فهو بطهارته النيّرة يثبت. وكما أنّ النار القليلة في الكور تحرق الحطب الكثير، كذلك موهبة الله في الإنسان تُكثِرُ العطايا، وكما أنّ النار لا تصل إلى التمام ولا تُشبع، كذلك فعل الروح: إنّه لا ينتهي ولا ينقص من جرّاء العطاء.

(٩) وكما أنّ ذلك الساكن المغارة في جبل حصين، لا يضطرب بيته من ضرب الرياح، كذلك هو حال المتقوّي برجاء الله: لا اختلاف الأزمنة والأعراض، ولا التجارب والعصيانات والحركات تحرّك اتّكاله على الربّ. وكما يتمايل القشّ في القفر يمنةً ويسرةً من شدّة الرياح، كذلك تذهب الشياطين سريعًا من عند الرجل الروحانيّ الذي يقتني سلطانًا من الربّ لكسرهم. وكما يخاف الذئب من أن يُقبض عليه على يد فارس شجاع، كذلك تخاف الشياطين من ناظر الخفايا. وهم يدبّرون الحِيَل لكي لا يمضي مَن هو واقع بأيديهم إلى بيته، ويلقون على المطيع لهم أحيانًا خوفًا من لقائه رجل الله وفي وقت آخر الحياء والخزي منه، وهم يهتمّون بكلّ الأسباب ليبعدوه من عنده لئلّا يجد الدالّة لديه فيفلت من أيديهم على يديه. فكما تخاف الثعالب وتهرب من زئير الأسد، كذلك تُخيف كلمةُ العارف الشياطين، فيهربون.

الميمر السابع عشر (مكرّر)[1]

في اللذّة الهنيئة التي تمتزج بمحبّي الله[2]
في أثناء نظرهم في مجده

(١) كنت أهوى أن أكتب ولم أقدر[3]
ذهبت منّي تلك المجيدة،
ارتفعت عنّي تلك الرفيعة،
استترت عنّي تلك البهيّة،
اختفت عنّي تلك الموجودة،
ولمّا وضعتُ الحيل الكثيرة لأتصوّرها، فلم أستطع.
تلك التي يمتلئ الكلُّ منها،
وأعطت ذاتها مأكلًا للمتنعّمين بها،
أردتُ أن أزرعَها بالخطوط لإطعام أبناء شعبي، فلم أستطع.

(١) راجع م هـ س رقم ٣٠، ١٨أ-٢٠ب؛ نشرة كوليس، نصّ غير محقّق؛ م ح ع، ص ٦٢.

(٢) إنّ بعض التفاصيل الواردة في الميمر ١٧ (مكرّر) بحسب **مخطوط هارفرد** مستلّة بما يخصّ طفولة يسوع، من الأناجيل المزعومة، وبوجه مباشر من إنجيل الطفولة العربيّ الذي له أصول سريانيّة. راجع Bibliothèque de la Pléiade, *Ecrits Apocryphes Chrétiens*, Gallimard, 1997, pp 209-238.

(٣) إنّ ما يشير إليه يوحنّا في نصّه ذي التركيبة الشعريّة، على صعيد الشكل العامّ، هو تلك اللذّة أو السعادة التي يصل إليها المتوحّد في أثناء تأمّله. إنّها سعادة معرفة الحياة الحقّ. راجع المقطع الأخير من الرقم ٢ من هذا الميمر، والرقم ١٣.

في البلد الخارجيّ، لا يوجد شبيهٌ لها.
وفي البلد الداخليّ، مَن يعرف لا يجد أشباهًا لها من عالمنا.
ومن عالم الروحانيّين، مَن يقدر أن يأتي بمثال لها؟

(٢) ليس لنا الوجدان القويّ الذي يكشف الأسرار للوجدان الآخر،
كما هو حال بيت جبرائيل.
ولا أعرف كيف أُهدِّئ حرقة قلبي الذي يغلي
لكي أُعرِّفَ خلّاني عظمة نعيمها،
بالكلام لا يُنطق بها، وبالإشارة لا تُرى،
وبالصُور لا تُصوَّر، وحركات الوجدان لا تعبِّر عنها،
قهرتني قهرًا عظيمًا، غلبتني كمَن لا يعرفها،
تصاممت عنّي كأنّي لا أحسّ بها،
تغافلت عنّي بشكلٍ لا يوصف،
تركتني كمَن لا يستحقّها،
تجاوزتني بشكل لا يُرسَم،
أنا حزين جدًّا لأنّي لم أجد لها شبهًا بالرغمِ من أنَّ لا شبهَ لها،
أطلبوها يا خلّاني اطلبوها،
تلك التي طلبتُ إليها مثالًا لمعرفتكم ولم تُعطِني،
أطلبوها لتمتزج بكم،
سعادةُ نعيمها أرفع من أيّ سعادة،
ولا مثيل للذّتها.
ذاك هو تفسير ذاك الكلام.
«أنتَ يا أبي فيّ، وأنا فيك، وأيضًا هم ليكونوا فينا واحدًا»[٤].

(٤) راجع صلاة يسوع الكهنوتيّة، يو (١٧، ٢١).

طوبى لمَن ذاق تلك السعادة بالتحوّل إلى النعيم اللذيذ،
طوبى لمَن أضحت نفسه مع لحمه وأعضائه في تلك اللذّة التي لا تفسيرَ لها.
مثلما تتّحد رطوبة الجسد بالجسد وتختلط به،
كذلك تمتزج تلك بنفس خليلِها وجسده.
ليعطِ معطيها تفسيرَ سرِّها في كلّ نفس تطلبها، آمين.

(٣) أوقفتني في حيرة.
أن أتركها فذلك صعب عليّ جدًّا.
وأن أكتب عنها، لا استحقّ ذلك.
لا تُشَبَّه باللذّة ولا تقاس بالشيء السمين.
نعيمها أرفع من أيّ تسمية،
ولذّتها أعلى من كلّ التفاسير.
تصنع التغيير العجيب في المتنعّم بها،
وليس له أن يعرف سرّها، لأنّ معرفتها تفوق قوّته.
لا يَعرفُ تلك التي بها عارف.
عجب عظيم أن يكون النعيم أرفع من معرفة النعيم.
وكما «أنّ الساجدين للآب يسجدون له بالروح»(٥) ويعملون له بالهدوء،
كذلك يكون الهدوء قائمًا على التنعّم الذي فيهم،
ولا يترك أحدًا يخرج إلى خارج بلده.
وإذا كان الأمر كذلك، فادخل إلى بيت كنزك،
يا ابن الأحرار لتجد كنزك.

---

(٥) راجع يو (٤، ٢٠).

ليس في بلد العبيد ذكرهم، إذ إنّ بشارتهم هي صمتٌ في عالمهم.
أَدخُلُ إلى عرس ابن الصلاح متقفِّيًا خطواته وأرِث ملكوته.
وليمته معدّة داخلك، ولماذا أنت تائه في بلدٍ ليس لك،
وفي بيتك الملكوت.
ولماذا تتسوّل كِسَر الشحّاذين الجالسين قرب المزابل؟

(٤) تفحّص ابن الملك وانظر إليه في ذات نفسك
ليكون تجلّيه في حضنها مثل تجلّيه في حضن مريم والدته،
وأنت تستنشق منك رائحة أعضائه.
وليهيّئ عقلُك قلبَك كرسيًّا لكرامته مثل يوسف النجّار.
وليقبّله وجدانك مثل ما قبّل يعقوب حبيبه.
وليكن بنو بيتك في داخلك خاطفين له واحدًا واحدًا للذّتهم،
مثل بنات يوسف، اللواتي كنّ يتنسّمن رائحته لتنعّمهن.
ولتكن كلّ حركاتك تغلي بالفرح الذي يثيره،
مثل رفاق يوسف الذين كانوا يجتمعون فرحين بمنظره.
وكلّ مَن كان يحمل الطفل المحبوب بين ذراعيه،
كان يستحقّ رائحته ونظرته أكثر من أيّ سعادة أخرى.
وليس مَنْ حلّ بين يديه وأعطاه لصاحبه،
سوى أن يغضب ويستردّه منه قهرًا.
ليس مَن أخذه في حضنه إلّا وعبقت رائحة الكلّ من ثيابه حتّى تبتلي.
ليس مَن قبّله بمحبّة واحتمل البعد عنه بعد ذلك.
ليس مَن سمع كلام الطفوليّة ولم يتّقد في قلبه كشبه جمرة النار
ولم يشتق إلى أُنْس كلامه في أيّ موضع حلّ فيه.

(٥) طوباك يا يوسف الذي حملته وإلى مصر ذهبتُ به.

لم يكن ثقيل الحِمل ذاك الذي كان حامل حامليه.
ليس مَن نظر إليه إلّا وابتهج برؤيته وأبعد جميع أحزانه عن قلبه.
ومَن دفنت حبيبها ونظرت إلى طفوليّته لم تعد تذكر أنّ لها ميتًا.
فلقاؤه كان يزيل كلّ الأحزان ورؤيته كانت تحلّ كلّ الصعوبات،
ونبرة كلمته كانت تقلع كلّ الأوجاع من القلب.
وبما أنّ سكّان بيت يوسف كانوا يختطفونه كثيرًا ليتنعّموا به،
فإنّ مريم كانت تنتظر برغبةٍ في أن تحمله.
طوباكِ يا مريم، يا والدة الله، فطوباكِ لا تفسير لها.
ليس مَن رأى وجهه إلّا ولم يكن في كلّ ساعة عطشان إلى رؤيته.
مياه غسيله كانت تحسبها بنات يوسف مياهًا قدسيّة.
ويعقوب بن يوسف كان كذلك يحترق بمحبّته، وكان يحمله على كتفه،
ويذهب به إلى كلّ موضع كان يمضي إليه، وذلك ليتنعّم برؤيته.
ويوسف كان يجتذبه إلى نفسه ويذهب به إلى بيت النجارة،
لأنّ قلبه لم يكن يحتمل البعد عنه.
وكلّ الناظرين إليه كانوا يبتهجون بالنظر إليه.

(٦) إنّ ولد العَجَبِ كان في نظرهم عجيبًا،
ومزيلُ الأحزان في نظرهم شهيًّا،
وطفل الأعجوبة كان مكرّمًا لديهم،
وصبيّ التعزية ممجّدًا في أعينهم،
وطفل الأفراح محبوبًا في قلوبهم،
والصبيان كانوا عند النظر إليه يتّقدون محبّة،
والشبّان من النظر إليه يمتلئون سرورًا،

والشيوخ عند رؤيته كان يتحرّكون تمجيدًا،
والعذارى عند رؤيته كانوا يمتلئون عفّة،
والعجائز عند النظر إليه يعطون الطوبى والدته،
وكلّ الطغمات مع المراتب بالنظر إليه كانت تمتلئ فرحًا،
والغرباء من النظر إليه كانوا يتزوّدون كلّ التعزيات.

(٧) كان ولد العَجَبِ عَجَبًا لكلّ إنسان.
مَن رآه واحتمل ألّا يراه من بعد؟
مَن سَمِعَ كلامه واحتمل أن يحيا من دون صوته؟
مَن استنشق رائحته ولم يأتِ عاجلًا ليتنعّم؟
أنا أيضًا أعطي الطوبى حيطان بيت يوسف.
والتراب الذي داسته رجلاه، آخذه أنا رأفة لتنعيمي.
إنّه أراني أن أساسات البيت الذي كانت فيه تربيته محفوظة حتّى الآن.
من قَبْلِ أن يُعرف كان يُعرف، ومن طفوليّته كانوا يقسمون له الكرامة،
ومن قبل أن يفهموه، كان رفيعًا بالنسبة إليهم،
وكان في أعينهم معظّمًا قبل أن يشاهدوا عظمته.
وكان محبوبًا في قلوبهم من دون أن يفطنوا بأنّه ربّهم.
وكانوا يفرحون بالنظر إليه من دون علمهم أنّه يحلّ الكآبة.
كانوا يحترقون لمحبّته من دون أن يفهموا أنّه آبن الله.
كانوا عند لقائه ينسون حزن موتاهم من دون أن يشعروا بأنّه قيامة الموتى.
كانوا يتعجّبون من رائحة الحياة التي كانت تفوح من لقائه من دون أن يفطنوا بأنّه كلمة الله هي مخفيّة في طفوليّته.

كانوا ينسون أهواء العالم بالرغبة فيه من دون علمهم أنّه عريس العُلى.
كانوا عطاشًا إلى رؤيته من دون أن يسمعوا أنّ ينبوع الحياة منه يجري لهم.

(٨) طوباكِ يا مصر أنتِ يا مَن فتحتِ قلبك الوثنيّ وفي داخله خبّأته!
نزل عندكِ ليرفعكِ إليه.
حميتِه من القتل وقتَلَ قاتلك.
فرحتِ بطفولته فملأك سرورًا بواسطة شبّانك البتولين المدعوّين إلى عرسه.
كانت رؤية الطفل الهارب محبّبة لدى المصريّين.
بناتُ مصر كنّ يجتمعن كلّ حين للتنعّم برؤيته.
الولد المخفيّ كان عزيزًا لدى كلّ ناظريه.
والمصريّون الذي كانوا يرونه كان بعضُهم يخبرُ بعضَهم الآخر: «لقد رأينا الولد العجيب».
عبّاد الأوثان كانوا يشتاقون إلى رؤيته
والشياطين الذين كانوا يخدمونها كانوا يرتعدون.
وكان كلّ مَن نظر إليه يحدِّث رفيقه عن منظر بهائه الممجّد.

(٩) بيت لحم طردت مولودها فسُلِبَ منها أولادها[٦].
مصر ابتهجت برؤيته، وفاضت الحياة لبنيها الساجدين له.
ومَن كانت أعماله سيّئة مثل أعمال مصر، فليقبله بحبٍّ داخله فتظهر نجاسته.

(٦) راجع متّى (٢، ١٣).

وليُفرغ قلبه من سجس الأفكار مثل بريّة مصر،
فيراه يصنع حركات طاهرة قدّيسة على شبه البتولين في شيهيت[(٧)].
وأمور هذا الخبر الذي سردناه سمعتها حقًّا من أحدهم وكان سمعها من الصادق،
الذي كان أظهر له ميلاده وتربيته كلّها،
كما كان الأمر لمريم ويوسف.
فلا يشكّ إنسان لئلّا يموت،
ولا يحتكم إلى الجهل لئلّا يكون مأكلًا للشياطين الذين تمرمروا كثيرًا بكتابة هذه الأمور.
تنسّم الحياة أيّها الإنسان لتميتَ الموت قاتلك.
صوّرتُ لك هذه الأمور بالأسطر لعلّ تلك التي لم تحبسها الأحرف، بهذه تنحبس.
أمّا تلك التي لم يحسن لها أن تظهر بالسواد،
فإنّها تنكشف للمتأمّل بهذيذه في المعطي بواسطة أشعّته.

(١٠) فلتكن خدمتُك مختلطة بذكره فيختلط بك طعم نعيمه.
صلاتك تشخص إلى رؤيته فتقتني حركاتها من قوّة لذّته.
وليكن عجبُك به داخلك لتجد هناك تنعّم تلك التي أخفت طوباها بسبب كلمتنا.
ليكن مأكلك إلهك.
وعلى شبه داوود الذي ذاقه، أظهر أنّ تنعّمه عظيم.
لا يتفرّغ قلبك عن الاهتمام به ليكون ينبوعًا لحلاوته.
ليتبدّل وجهك بقوّة محبّته. ليمتزج هو ذاته بباطنك لبهجة بني بيتك.

---

(٧) راجع أش (٢٩، ٢٣).

إن كنتَ تحزن في طلبه، فإنّك تبتهج عند لقياه.
إن كنت تتوجّع لرؤيته بالدموع والضيق،
فهو يريك حسنه داخلك فتنسى أحزانك.
لا تطلب في الخارج منك ذاك الذي في داخلك مسكنه وموضعه.
مَن نظر نظرةً حكيمة وطلب نعيمه في الخارج منه؟
وهل تليق لك الحياة في الخارج منك؟
فمَن أنتَ تخدم وإلى مَن تصلّي؟
وأمام مَن تصرخ أنت؟ ومَن تدعو أبانا تعال لمعونتي؟
أمام مَن أنت تسكب دموعك؟ أليس أمام ذلك الذي أنت به حيّ ومتحرّك؟
أنت تصنع ذلك وهو بك ملتحم التحام الرطوبة بجسدك.
ولماذا لا يوجد لك في ذاتك نعيمه؟
لأنّك لم تمزج أعمالك بالاهتمام به.

(١١) وإذا مكثتَ هكذا، انظر إلى شعاعه متّحدًا بك، مثل شعاع الشمس المتّحد بقرصه.
تتجلّى إذا أقمتَ في غمام مجده، فتكون سحب نورٍ تغطّيك من كلّ جهة.
إذا مشيتَ، ارفع الأرض من أمامكَ.
واصنع مسلكك فيه بنور الربّ مثل بلدٍ نقيّ.
إذا نمت، بلجج نوره تدثّر.
وانظر إلى مأكلك كأنّه شبه له.
وامزج شرابك بمنظر محيي الكلّ.
ومع الطير طِر في جوِّ طهارته،

ومع السمك اسبح في أعماق عظمته.
ومن الحديد في الكور، تعلّم سرّ اتّحاده.
ومع تنشّق فمك، تستنشق نفسك خليلها
ومع الروحانيّين أعلن القدّوس السماويّ[8] في الداخل منك، وهناك شاهد مسكنه وخدمتهم،
وليقدّس ذهنك كلّ حين من دون حركات من جرّاء الدهش الحامل عجب عظمته.
ولإلباس جسدك اصنع رداءً من نوره واستنشق الحياة من جبلتك عينها.
سقف بيتك أطلِهِ بسبك نوره القدّوس ولتضئ جدرانه بشعاعه القويّ.
ولتكن أرض بيتك مرشوشة بحُسنِهِ،
وإذا سجدتَ في الصلاة تشمّ منها رائحة لا مثال لها.

(١٢) في صلبانك، ترى نورًا غير كثيف،
وعند قبلاتك لها ليضئ منها على وجهك الكوكب العجيب الحسن.
عند تناول الأسرار المقدّسة، تزول المادّيّة فتراها في مجد العظمة.
ها قد أريتك الطريق التي كنت تطلب
وها قد صوّرت لك التأمّل لعملك، الذي فيه تجد الحياة المخفيّة في داخلك. هكذا تأمّل وهكذا اشخص.
هذا هو الاهتمام الذي يريك وجه ربّك،
مثل اهتمام الساجدين للآب الذي كشف لهم الابن عمل مشيئته.

---

(٨) بريّة شيهيت أو الإسقيط. راجع في هذا الصدد **القدّيس أثناسيوس الرسوليّ**، للأب متّى المسكين، منشورات دير الأنبا مقار، ص ٧٣١ و٧٣٩. رهبنة الإسقيط: أسّسها أنبا مقاريوس الإسكندريّ، وأنبا بيمين، وأنبا بامو، وأنبا إيسيذوروس، وأنبا موسى الأسود، وغيرهم كثيرون.

لماذا أنت ترسل الأصوات في الجوّ كمَن لا يعرف أين إلهه؟
لماذا تنظر عيناك إلى السماء كمَن لا يشعر بأنَّ خالقه في الداخل منه؟
لماذا تبكي في أثناء صلاتك
بأصواتٍ كمَن لا يفطن بأنَّ موضع سجدته هي حضن ربّه؟
لماذا تصرخ فيه أن يأتي لحفظك عندما تنام،
كمَن لا يفطن بأنَّ الساكن فيه هو حافظه؟
لماذا تتناول الخبز القدّوس كمَن لا يشاهد فيه شعاع الآب؟
لماذا تشرب كأس دمّ مخلّصنا كمَن لا يفهم أنّ في شرابه يختلط به بسرّ الاتّحاد؟[٩]
لماذا تتصوّر الأسرار في الخارج منك
في حين أنّه يجب أن تشاهدها في الداخل منك؟

(١٣) لتكن رفقتك بهؤلاء فتجد الحياة لتنعّمك
وتدرك نعيم تلك التي لم تقدر أن تبيّنها الكلمة.
المجد للذي مزج حلاوته لمحبّيه
لتحويل مرارة أوجاعهم إليه إلى أبد الآبدين.

(٩) البعد الفصحيّ وسرّ الإفخارستيّا ظاهران بقوّة في كتابات يوحنّا الدلياتي؛ راجع **الرسائل** (٢/٥، ٦)؛ (٣/٥)؛ (٢/٧)؛ (٣/١٤)؛ (٣/١٦)؛ (٢/٢٨)؛ (٥١/٤)؛ . . . وكذلك **الميامر**. (١٢/١، ١٣)؛ (٦/١٤، ٧، ١٤)؛ (١٢/١٧)؛ (٢١/مجمل الميمر). . .

الميمر الثامن عشر[1]

في الهروب من العالم والانقطاع عن الدالّة[2]

(١) يجب علينا حقًّا الهروب من العالم وأن نكون عنه غرباء[3]. ولا شيء آخر يجعلنا بعيدين عن العالم، ومنقطعين عن الأهواء، وأحياء بالله[4]، ومتحرّكين بالروح، مثل البكاء ووجع القلب بتمييز، ووجه خجول متشبّه باتّضاع الحبيب. ولا شيء يجعلنا نختلط بالعالم، والعالميّين الجهلة، وفاقدي الحسّ، وغرباء عن الله[5]، ومنفصلين عن حكمة الله وكنز أسراره مثل اللهو واتّساع فرجة الحرّيّة.

(٢) هذه هي صنعة شيطان الزنا الشرّير، أطلب إليك بحبّ أن تحذر من صنيع الشرّير، لئلّا يبرِّد نفسك بواسطة كلمات اللهو من حرارة حبّ المسيح، الذي من أجلك شرب المرارة على الصليب[6]. وبدل الهذيذ الواحد الموحِّد والنظر الشاخص إلى الله، تملأ نفسك

---

(١) راجع **م ف س** ٣٤٣ب-٣٤٦أ؛ **نشرة كوليس** ص ١٢-١٤؛ **م ح ع** ٦٨-٧١.

(٢) هذا الميمر يتضمّن إشارات إلى الدرجتين الأولى (درجة التطهير) والثانية (التقديس والاستنارة)، حيث يشدّد يوحنّا على ضرورة التوبة للدخول في حياة الروح، ثمّ على قبول النعمة لإتمام ما يصنعه الحبُّ في نفس المتوحِّد.

(٣) راجع **خز** (٢٣، ٩).

(٤) راجع **روم** (٦، ١١).

(٥) راجع **أف** (٢، ١٢).

(٦) راجع **لو** (٢٣، ٣٦).

خيالات كثيرة وفارغة في يقظتك، وتسببها في نومك خيالات تُزَفِّر المرخيِّين فتبتعد الملائكة المحبوبة لرائحة نتونتها، وتكون عثرةً للآخرين وخصمًا لنفسك. كن أنت غاصبًا لذاتك وتَكَلَّف النواح الذي يجعلك شبيهًا بالمسيح حتّى تندلع فيك النار التي ألقيت منه في أرضٍ نفسك. وبواسطة الحركات النورانيّة التي يوقظها الأزليّ، تفنى وتهلك كلّ حركات العالم، قاتلة الإنسان الجديد، ومنجّسة ديار البيت المقدّس للإله القويّ. فإنّي أتجاسر على أن أقول مثل بولس: «إنّنا نحن بيته»[7]. فلنطهّره كما هو طاهر ليشتهي السكن فيه. فلنتقدّس كما هو «قدّوس» ولنزيّنه بكلّ الأعمال الصالحة والعفيفة التي ترغب فيها ربوبيّته ولنوقد فيه بخورًا لراحة مشيئته، [هي] صلوات نقيّة تصدر عن القلب، خاصّة أولئك الذين لم يختلطوا بحركات عالم الموتى.

(٣) وهكذا تحلّ غمامة مجده على النفس ويشرق شعاع عظمته داخل القلب، ويمتلئ ساكنو بيت الله جميعهم فرحًا وحبورًا، وبلهيبه يفنى كلّ الوقحين. كن يا أخي محتقرًا نفسك وقل: يا نفسي، قَرُبَ انحلالُك من الجسد. لِمَ تفرحين بالأشياء الزمنيّة، التي ستتركينها اليوم وتنحرمين من رؤيتها وتذكّرها إلى الأبد؟ انظري إلى أمامك واشخصي إلى ما فعلتِ. كيف هي؟ مع مَن خَرَجتِ أيّام عملك؟ مَن الذي قَبِلَ عمل ممارستك؟ ومَن أفرحتِ بجهادك ليخرج للقاك عند رحيلك؟[8] مَن أبهجتِ في سعيك لتستريحي في مينائه؟ من أجل مَن تعبتِ وتعذّبتِ لتصلي إليه بفرح؟ مَن اقتنيت خليلًا في المكان الأبديّ

(٧) أف (٢، ٢٢).
(٨) متّى (٢٥، ١١).

ليقبلك الآن عند خروجك؟ في أيّ حقل نجحتِ، ومَن يَفيكِ أجرتك عند غروب شمسِ انفصالك؟ افحصي ذاتك يا نفسي وانظري إلى أيّ مكان أنت منتقلة، عندما تطيرين من جسدك، ومَن هم أبناء رفقتك؟ ينطلقون معك إلى ميراثهم، إن كانوا ملائكة النور. فكيف لا يضيئون عليك بأشعّة حسنهم من محبّتهم لك ولا يفرحونك بالاختلاط بهم قبل الانفصال؟ وإذا كان أولئك السمجين الذين يخدعون بالشهوة سارقة الأطفال إلى مكان ظلمتهم المحروم من العزاء، فالويل لي من صحبتهم، والويل لي من الاختلاط بهم، والويل لي من شركتهم التي تفصلني عن الله، والويل لي من قُربِهم الذي يبعدني عن سيّدي. الويل لي لأنّي استمعت إلى غشّهم ولأنّي حرمت نفسي من رؤية الحسن. الويل لي لأنّي غرّبتُ نفسي عن الصالح وصرت شريكًا للشرّير بإرادتي، إلى أن أصبحتُ في المكان الذي اقتنيت فيه الأحزان، فأعِدّ لي الأدوية التي تضمّد جراحاتي. وإلى أن يقبل تضرّع الطالبين، أؤلّف لنفسي الأصوات المرّة لأرْضيَ إلهي الذي أغضبته. وأبكي وأنوح على أيّامي التي مضت في الحقل الذي يُطعم المرارة للعاملين فيه.

(٤) أصرخ بوجع وتنهّد يريح إلهي أكثر من الذبائح. ليصرخ فمي بكلمات حزينة تشتاق الملائكة إلى أصواتها. ولتبلّ خدّي دموع من حدقتي ليسكن الروح على رأسي فينظّف وسخ آثامي. أغوي سيّدي ليأتي نحوي إذ إنّي أبكي. أدعو مرتا ومريم ليعلّماني أصوات النواح. يا مَن بكى على لعازر وأفاض دموع الكآبة[٩]، اقبل دموع مرارتي. لِتُشفَ أوجاعي بأوجاعك وجراحي بجراحاتك. وليختلط دمي

---

(٩) راجع يو (١١، ٣٣).

بدمائك ولتمتزج في جسدي رائحة جسمك المقدّس. والمرُّ الذي شربتَ على يد المبغضين يحلّي نفسي التي شربت الصبرَ على يد الشرّير. جسدك الذي بُسِطَ على الصليب[١٠]، ليُبسِط نحوك ذهني الذي تضرّر على يد الشرّير. رأسك الذي تدمّى[١١] على الصليب، يرفع رأسي الذي تضرّر على يد الأثمة. يداك الطاهرتان اللتان ثُقبتا بالمسامير على يد الكفرة تنشلاني إليك من هاوية الشرور، كما قد وعدتَ. وجهك الذي قبل البصاق سخرية من المجرمين[١٢]، يصقل وجهي الذي صار سمجًا بخطاياي. نفسك التي انتقلت من على الصليب إلى أبيك[١٣]، توصلني إليك بنعمتك. ليس لي يا ربّي دموع التضرّع. ليس لي قلبٌ يتوجّع في طلبك. ليس لي توبة وندامة تردّان الأبناء إلى الميراث[١٤]. أظلم ذهني بهذه الأمور التي هي ها هنا. وليس له قوّة ليرفع نظره إليك بحرقة. قرُسَ قلبي من كثرة الشرور، ولا يستطيع أن يضطرم بدموع المحبّة. أيّها المسيح كنز كلّ الصالحات: هب لي توبة كاملة وقلبًا متوجّعًا ليخرج بحبّ في طلبك. أنا غريب عن هذه بدونك. هب لي نعمتك أيّها الصالح: الآب الذي ولدك من حضنه الذي كنت محتجبًا فيه من الأزل[١٥] يجدّد بي صورة مثالك[١٦]. لا تتركني لأنّي تركتُكَ وتخلّيتُ عنك

---

(١٠) راجع مر (١٥، ٢٤).
(١١) راجع مر (١٥، ١٧).
(١٢) راجع متّى (٢٧، ٣٠).
(١٣) راجع مَثَل الابن الضالّ، لو (١٥).
(١٤) راجع يو (١، ١٨).
(١٥) راجع روم (٨، ٢٩)؛ قول (٣، ١٠).
(١٦) راجع لو (١٥، ١٣).

وخرجتُ عنك[17]. أخرج أنت في طلبي وأدخلني في حظيرتك[18] واخلطني بخراف رعيّتك المحبوبة، وغذِّني معهم[19] من مرعى أسرارك القدّوسة، هذه التي تنبع من القلب المقدّس. فبه يُرى نور تجلّياتك، الذي هو راحة المتعبين الذين تعبوا بسببه بأوجاع وعذابات من كلّ الأنواع. فلنكن أهلًا له كلّنا بنعمة تحنّنك ياَ مخلّصنا، آمين.

١٧) راجع لو (١٥، ٣-٧).
١٨) راجع متّى (١٨، ١٢).
١٩) راجع يو (١٠، ٩).

الميمر التاسع عشر[1]

تحذيرات ومشورات في التوبة المقدّسة[2]

(١) فَمُ العفيف يتكلّم بالطيّبات، فيلذّ صاحبه ويفرح سامعيه. مَنْ كلامه مرتَّبٌ وعفيفٌ، ومَن هو طاهرُ القلب[3] هو ابن ميراث المسيح. أمّا مَن كلامه ساخط وعَكِرٌ بسبب الغضب فهو شيطان ثان. فَمُ طاهرِ النفس يتكلّم كلّ وقت على خالقه. ومَن يسمعه بفرح، يتّخذه مثالًا له. فَمُ الجاهل يتفجّر مرارةً ويقتل صاحبَه ويُسكِرُ الذين ينصتون إليه. وحسنًا فعل سليمان عندما لقّبه بالخنزير[4]. سيّدي نجّني من لقائه. مَن يترحّم على إنسان، فبابُ الربّ مفتوح كلّ وقت لطلباته. العاقل يشتري لنفسه الملكوت بكسرة خبز. مَن يفرّق ماله بدون تمييز باطلٌ هو عمله. مَن يُكثِر كلامه ويرفع صوته ويثرثر هو ناقص الرأي[5].

(٢) مَن يلطّف كلامه ويتماكر للإضرار هو شيطان ثان. مَن يصنع سلامًا

---

(١) راجع م ف س رقم ١٢٤، ٣٤٦أ-٣٤٨أ؛ **نشرة كوليس** ص ٥؛ م ح ع، ص ٧١.

(٢) هذا الميمر يتضمّن جزءين على ما يشير العنوان: تحذيرات من الحكمة العمليّة جلّها من **سفر الأمثال وسفر الحكمة** ومشورات في ضرورة التوبة للدخول في الحياة الروحيّة دخولًا صحيحًا.

(٣) راجع **متّى** (٥، ٨).

(٤) راجع **أم** (١١، ٢٢).

(٥) راجع **أم** (١٠، ١٩).

بين الغضوبين ابن الله يدعى. ومَن يشوّش ويهيّج وينقل كلامًا شرّيرًا من واحد إلى آخر هو ملاك الشيطان. هذا تبيده النار. مَن يبدّل بكلماتٍ شرّيرة كلماتٍ صالحة ويزرع سلامًا بين الإخوة يكتسب الحياة لنفسه. مَن يفرح بحسنات كلّ إنسان تَفِضْ عليه من عند الله كلّ الحسنات. ومَن يحسد حسنات الآخرين، لا تَعْزُه السيّئات، وسريعًا يحصل انكساره. مَن يردّ بالحسنات بدل السيّئات يبهج الملائكة ويُسرّ سيّدهم، إذ إنّه يتّخذ له مثال الصانع. مَن يردّ السيّئات بالسيّئات تحلّ عليه سيّئات أقبح من أخرى.

(٣) مَن يَتُب عن سيّئاته ولا يعُد إليها أيضًا، حتّى لو كانت قبيحة وسمجة وعظيمة جدًّا أكثر من كلّ خطايا السادوميّين، ويظهر نحوها وجع القلب وندامة شديدة ودموعًا بالجملة، يقطع منه الشرور، ويولد لساعته من الروح القدس[٦]، وتحبّه الملائكة، ومعهم يختلط بالنور، ويصبح من خاصّة الله وبدالّة يتّخذ طهارةً تُحرِّر من خزي السفلة وتُعاد إليه بتوليّة لا تتدنّس ويدعى زرعًا إلهيًّا لا يخطئ، ويُحسب ابنًا في أسرار الله، ويكتسب ثقة مفرحة، ويقبل في قلبه عربون الملكوت لتوطيد رجائه. ومصدر الإيمان بهذه الأمور هو الصالح الذي لا يخدع البتّة. ومَن اختبرها، يَكُن شاهدًا على كلمتي. لا تشكّ أيّها المائت: إنّه إذا بلعك الموت وأنت في الشرّ، تكون محرومًا الحياة.

(٤) والآن، بما أنّك وُلدت بالتوبة إلى الحياة، فأنت بعيد عن كلّ عيب ووُلدتَ طاهرًا من الأمّ المباركة، والدة البتولين الأطهار، أبناء الملكوت. أمّا الذي يحتقر معرفة الله ويخطئ تجاه الرجاء الذي يأتي

---

(٦) راجع يو (٣، ٥).

من التوبة وتجاه الرحمة، فتوبتُه لا تُقبل والرحمة لا تفيض عليه، لأنّه إذ يهوى ممارسة أهوائه القبيحة، يستهين بدينونة الله العالم بكلّ شيء، بانتظار التوبة. وبما أنّ هذا «لن يُعدّ له ذبيحة لغفران خطاياه»(٧)، على حدّ قول كلمة الطوباويّ بولس، فلا يعطيه الربُّ مجالًا للندامة إلى حين انتقاله من هذه الدنيا. وإلى هذا، «حتّى لو قام آخرون يطلبون مكانه، فإنّهم لن يُستجابوا»(٨)، بحسب قول يوحنّا، الخبير بأسرار معلّمه.

(٥) أمّا الذي لانعدام خبرته أخطأ وكان جاهلًا، أو هيّأ إرادته لممارسة الفضيلة والتدبّر بنقاوة، فإنّه انزلق ووقع لضعفه أمام بصيرة الشياطين وشدّتهم، أحيانًا، في أيّ نوع من الخطايا. وعندما تُعذّبه إرادته جليًّا وتبكّته بسبب سيّئاته، فإنّ ما يحصل له لم يكن بسبب استعداد إرادته، بل من قلّة المعرفة أو من الضعف وقساوة الشياطين النجسة. هذا إن هو قطع الشرّ من أصله، فيثبت في التوبة، وهو يصرخ إلى الله، وينوح بمرارة، ويسأل الصفح بألم القلب ووجع النفس القاسي. فلهذا تقبله الرحمة الأبويّة وتمنحه الثقة لكي لا يخطأ من بعد، بتوكّل حقيقيّ وبنسيان الخطيئة نسيانًا عميقًا من قلبه كأنّها لم تكن.

(٦) أيّتها الرحمة الفيّاضة التي أُعطيناها، نحن الموتى، الموتى بالخطيئة! أيّها الرحم القدّوس الذي هو التوبة، الذي يَلِدُ البنين الجدد من القُدماء، الأطهار من الأنجاس، النيّرين من المظلمين، والطيّبين واللذيذي الرائحة من النتنين، والشهيّين والمتشبّهين بأبيهم الذي في السماوات من الأرdياء والسمجين الشبيهين بالشيطان مُستعبدهم النَتِن

(٧) راجع عب (١٠، ٢٦).
(٨) راجع ١ يو (٥، ١٦).

المظلم. مَن لا يتعجّب من غيرتك يا ربّنا ويشكر نعمتك، أنتَ يا مَن أتى ووُلد ليولدنا على شبهك من حضن التوبة التي تلدنا على شبهك كما ولدتك مريم.

(٧) المجد لك أيّها الآب، أبُ الكلّ، الذي وهبتَ لنا أمًّا جديدة للميلاد الجديد قبل المولد الكامل من حضنِك، لأنّه بقلّة المعرفة تَنَجّسنا بكلّ نجاسة! هي التي ترقِّق وتنقّي وتجمِّل وتغطّي تحت أطرافها، مثل المربّية، الذين ولدوا منها حتّى يصلوا إليك محبوبون ومستترون وأحبّاء، فيكونون آلهة وملوكًا، أبناء ربوبيّتك، ويتنعّمون واثقين في حضنك باستنشاق روح قدسك. وبمجدك يستضيئون ويرون صورتهم في صورتك ويتبدّلون بروحك إلى مجدك مثل كلمة محبّك، وسيط أسرارك(٩). لك المجد من الكلّ، لأنّ رحمتك التي تُشرق على الكلّ، لا أحد ينطق بها. وعلى قدر استعداد إرادة كلّ واحد هي تشرق على الناطقين أو تمتنع عنهم. أعطنا لنستحقّ قبولها مع محبّيك في كلّ وقت. آمين.

---

(٩) التوبة، عندما تصير فعل النعمة في النفس، تحوّل صورة المتوحّد إلى شبه صورة الوحيد.

الميمر العشرون[١]

في استعلان المسيح ربّنا في محبّيه وكيف يظهر فيهم كما قال وفرّحهم[٢]

(١) أنا مندهش بالسرّ ومتعجّب ومنذهل جدًّا. وليس لي إلّا أن أسكت بلا حراك[٣]. وقوّات العلاء غارقة في لجّة العجب الذي يُسكتُ حركاتها الناريّة ويُسكرها بلا فحصٍ أو تفسير، لأنّ المسيح، حياةَ الكلّ، هو في الكلّ وحالٌ في الكلّ ويكفي الكلّ ويُعجِّبُ الكلَّ بسكناه، أعني العلويّين بأجمعهم وأبناءَ البشر قابلي ختمِ شِبهِهِ المحبوب في داخلهم، والشاخصين إلى حسن ربوبيّته في إنسانهم الخفيّ من دون أن يشبعوا.

---

(١) راجع م ف س ٣٤٨أ-٣٥١أ؛ م ح ع، ص ٧٣.

(٢) هذا النصّ، وهو الميمر العشرون، يتضمّن خلاصة اختبار الشيخ الروحانيّ بشأن ذكر الله والنِعَم التي تفيض منه على المتوحّد. في هذا الميمر، ترتسم بوضوح ملامح روحانيّة القلب التي يمارسها الدلياتي ويفضّلها على غيرها، بالرغم من أنّها تتطلّب الكثير من الممارسة والإرادة وكذلك النِعَم اللازمة. في البداية يصعب الأمر على الذهن في دخول القلب، حيث عليه أن يبقى واقفًا أمام باب القلب منتظرًا الرحمة والإذن بالدخول. إلّا أنّ الذهن ينجح في الدخول بعد أن يكون قد حدّق مطوّلًا بداخل القلب، من دون أن يستطيع رؤية الكثير من الكنز الموجود هناك. ثمّ في مرحلة لاحقة يشاهد الذهن كوكب النور طالعًا من القلب نفسه. إنّ الاختلاء المتواصل هو ضروريّ لمَن يريد أن يحيا روحانيّة القلب.

(٣) بلا حراك: إنّه فعل الاندهاش أمام رؤية السرّ.

(٢) مَن لا يتعجّب بحكمة أسرارك أيّها المسيح حكمة الآب! فبالعجب تُغطِّس حركاتُه ويكون ميتًا عن كلِّ عمل[٤] بفعل سرّ سكناك في هياكلك الناطقة البسيطة والكثيفة، إذ إنّ قوّات قدسك هي أكثر من رمل البحار، وبنو البشر الذين لا يحصَون هم أيضًا يقدّسون سكناك. فهذه الخلائق كلّها لا تحصى ولا تُحدّ، إذ إنّ القوّة التي رتّبتها هي فقط تستطيع أن تحصيها، وليس أحد يستطيع ذلك في هذه الحياة[٥].

(٣) وهؤلاء كلّهم ينظرون بالتمام إليك الواحد تلو الآخر، ويفرحون بحسنك ويعجبون. ويظنُّ كلّ واحد أنّك حالّ فيه وحده ويكفي هو لسكناك، وأنتَ له ميراثٌ وذخيرةُ حياة مخفيّة في كنوز ذهنه. وإنّك تفرِّحُه وحده فقط. وله تفرح فقط، إذ إنّها به مدفونة ومستورة، وأنت ترى كلّك في كلّ واحد[٦]. لا يقدر الكلّ أن يحدّك أو يحوط بك. بل كلّ واحد منهم هو حاملٌ في نفسه رجاء التوكُّل، إذ مختومٌ أنت في مرآة ذهنه بلا انتقال[٧]. وهكذا كلّهم بالتمام، كلُّ واحد منهم هو في ذاته يراك.

(٤) المجدُ لك يا كوكبًا من يعقوب كثير الشعاع، يشرق من القلب ويُرى في الذهن عن طريق الذهن، يا مَن تُشرق للعلويّين معًا وللسفليّين من الداخل وتبتهج أنت من الخارج. شعاع حسن منظرك كثيرُ الأشعّة في داخلهم. ويفرّح وجوههم بالفرح من الخارج. ذخيرتهم في داخلهم،

---

(٤) العمل يعني هنا الممارسات الزهديّة المختلفة.
(٥) أي إنّ الخلائق كلّها لا كيان لها إلّا بالله وهي مدعوّة إلى الاتّحاد به.
(٦) الكاتب يخاطب المتوحّد صاحب الاختبار الروحانيّ الذي يقتبل الله سرّيًا في ذاته ويصبح سكنى الله وكذلك تكون الخلائق هي أيضًا سكنى الله.
(٧) أي إنّ صاحب الاختبار الروحانيّ يؤثّر في محيطه وفي الآخرين بوجه عميق.

إذ إنّك تُشرِق فيهم لهم. علويّو السماء بهيّون بضيائهم. ولا قلبَ مثل القلب الذي تصنعُ فيه استعلانَ رؤيتك. الشمس مدهشةٌ بظهورها. ومدهشٌ أكثر من ذلك الظهور الوفير، إشراق ضيائك الذي من القلب ينبع ويضيء مرآة النفس بضيائه[٨].

(٥) من الآن، أنا أسجد بالروح فأجدُ بالعَجَبِ سرَّك الذي تركني بلا معرفة. لأنّني إذ كنت أظنّ أنّني وجدتك فيّ في داخلي، رأيتك أنت حالًّا في الكلّ، كأنّك الكلّ، تتراءى لكلّ واحدٍ منهم بالتمام من دون تجزّؤ ومن دون حدود الكيف. أنت تكفي فقط، ولا مائت يجرؤ بلا انتقال من واحد إلى واحد.

(٦) المجد لك أيّها المسيح الكثير الصُوَر. يا شبيهَ الآب الذي لا يخفي الشبيه[٩]، إذ عندما تُرى أنت للكلّ مثل طاقةٍ فيه له، بتغيُّر الرؤية والأشباه بحسب تغيُّر أفهام قابليك، يكون ذلك بلا تغيُّرك ومن دون تبدُّل، على شبه أبيك. المجد لك من الكلّ، يا مَن يفرِّح محبّيه برؤيته لاستعلانك فيهم! يا مَن هو محجوب في أبيه بلا إدراك من الكلّ! فأبوك وحده يستطيع تقديرك كما أنت أيضًا فقط تستطيع تحديد كيفيّته!

(٧) أيّها المسيح حسنُ الآب، يا مَن به فُتِح لنا باب أسرار أبيك المخفيّة فيك من دهر الدهور، هبنا أن ندخل بك إلى هيكل نفسنا وأن نراك فيها ذخيرة حياة مخفيّة وأن نأكل منك بشهيّة، يا شجرة الحياة التي بحبّك نصبتها أنت في الفردوس العقلانيّ، من دون أن تأذن لنا

(٨) إشراق الضياء من القلب هو ثمرة الحياة الروحانيّة في المسيح.
(٩) أي إنّ الابن، شبه الآب، لا يخفي ذاته.

حلاوة عذوبتك وحسن منظرك العجيب أن نرى ونعرف، في أيّ وقت من الأوقات، شجرة الخير والشرّ وأن نأكل منها. هذه هي الطوبى التي يقبلها من هنا الذين هم يشخصون إلى ذواتهم من دون تشتُّت ويميتون حركاتهم بالنظر الدائم إلى داخلهم، بميتوتةٍ عن العالم. بالحقيقة يا إخوتي، مَن حبس في ذاته نظرَ ذهنه، شهرًا من الأيّام تقريبًا، برغبة في الله، لا بُدّ له أن يرى كوكب النور يُشرق من داخل قلبه بعَجَبٍ لا يُفسَّر. تلك هي رؤية مجد عظمة حياة العالمين.

(٨) خارج هنالك، هذه الطوبى الأعلى من كلّ التطوبيات وغاية التطوبيات، لا يعرف طالبوها التعبون كيف يطلبونها، ولا أحد يجد مكان إقامتها في الحقيقة أكان ذلك هاهنا أو في العوالم الآتية، أو إذا كان ذلك المكان أحد الطبائع البسيطة والروحانيّة[١٠]. أمّا الذين يتعبون في طلبها في داخلهم، فإنّهم يستريحون سريعًا عند إيجادها ويتنعّمون عند رؤيتها. آه، كم أنّ هذا العمل[١١] المعطي الحياة الذين يتحمّلونه هو قاس وصعب للذين تاهوا في الأهواء في عالمهم! وكم هو حلو ولذيذ للذين نشطوا فيه وحصدوا حِزَم الفرح في الداخل منهم، أولئك الذين حلّوا أنفسهم من الكلّ وارتبطوا به للأبد.

(٩) يا مَن بدأت هذا التدبير، الذي في سبيله ذلك الزهد المضيء، لا تملَّ في البدء، عندما تغصب ذهنك لكي يَلِج الداخل منك، فلا يقدر[١٢]. فلا تعد إلى ورائك للاستعانة بالراحة من الطيش الذي هو خارجًا عنك. إنّ أخصامك يعلمون أنّك قد ابتدأت في تدبير يفوق

(١٠) إنّها الكائنات السماويّة، مثل الملائكة.
(١١) العمل هو الطريقة الزهديّة التي يعتمدها المتوحّد في تلك المرحلة.
(١٢) الزهد هو في سبيل الوصول إلى رؤية الكوكب، أي المسيح، وهو أمر صعب في البداية.

تدبيرهم. فانقض حِيَلَهم واخز افتخارهم. إنّهم يسكبون على ذهنك، غير المعتاد، ثقلًا وملًلا وظلمةً وعتمةً واختناقًا للنفس، حتّى يصير مكروهًا في عينيك السرّ ينبوع كلّ الأسرار. لكن إن ثبتَّ على باب قلبك، وإن تحمّلت هذه الصعوبات، وأنتَ شاخص العينين إليه حتّى لو افتقدت السند والراحة، لا بل وُجِدَ نقيضُ ذلك، وإن دعوتَ رحمة ذلك الذي قال: «طوبى للأطهار، إذ يرون الله في قلوبهم»[١٣] فلا يكون محسوبًا عندك أنّ عملك هو باطل، فإذ ذاك ذلك الذي يهب النور إلى العميان، وهو شمس الأفراح، يُشرق لك من داخلك ويجذبك نحوه، بالانحلال من الكلّ. ومَن الذي يخطفك منه؟ حتّى الملائكة لا يستطيعون ذلك. إذ إنّه أصلح لك أن تكون مع ربّهم في داخلك أكثر من أن تكون معهم في السماء.

(١٠) هذا سطّرته أمام الضعفاء الذين هم مثلي، الذين يقيمون حتّى الآن خارج باب سرّ النور وهم يطلبونه. فمَن ينشط ويطلب، يجد. ومَن كان كسولًا يبقَ في العمى والعتمة البرّانيّة مع أهل اليسار أشباهه. لأنّه حرم ذاته من النور والحياة الحقّ الذي هو المسيح، له المجد من الكلّ، ونحن نُجتَذَب نحوه بهداية نعمته، آمين.

---

(١٣) راجع متّى (٥، ٨).

الميمر الحادي والعشرون(١)

في الرؤيا التي أظهرها الله لأحدهم في الوقت الذي كان يُقدِّس الأسرار الإلهيّة(٢)

(١) أدخُل أسرار الروح عند تجلّيها، وهي تتّحد بقلوب الصادقين أبناء السرّ. بل اسمع يا أخي ما أخبره [أحد الإخوة] بشأن منظر عظيم وممجّد، أرويه لعزائك ولفرح نفسك التائقة إلى سماع ذلك. قال لي أخ صادق: «إنّني حين تقدّمت لأخدم الأسرار الإلهيّة، ولمّا وضعتُ الخبز والخمر على المذبح الطاهر وغطّيتهما وبدأت الخدمة نظرتُ وشاهدت ذاك الذي كَهَنَ هو لذاته بدل الكلّ، على الأسرار بمجدٍ عظيم لا يوصف. وبُهِتُّ فرحًا وتبلبل قلبي في داخلي وصارت نفسي تحترق وجسدي يلتهب كما بالنار فرحًا ومحبّة، واصطبغا باللذّة. ومن التغيير الذي أصابني، لم أعد أعرف ما أصنع. وفي الوقت

---

(١) راجع م ف س ٣٥٢ب-٣٥٣ب؛ م ح ع، ص ٨٤-٨٥؛ نشرة كوليس ص ٥٣-٥٤.

(٢) إنّ هذا الميمر يروي عن لسان أحد الإخوة رؤيا نالها عندما شاهد يسوع المسيح في مجده متلألئًا تحت شكلي الخبز والخمر في أثناء إقامة ذبيحة الإفخارستيّا، وكيف أنّ نفسه وجسمه اشتعلا بالفرح والمحبّة، إذ إنّهما شاركا المسيح بذبيحته. وهذا أمر لا يستطيع الوصول إليه إلّا مَن بالنعمة سار وراء المسيح وحمل صليبه وقدّم ذاته ذبيحة في ذبيحة المسيح. والأخ نفسه يقول إنّه لم يعلم إذا ما شارك الجسم والنفس في مشاهدة الرؤيا، أم إنّ ذلك هو اختبار روحانيّ فقط.

الذي كان فيه قلبي ملتهبًا، تقدّمت لأعانق المنظر المجيد المحبوب، وقع عليّ بغتة خوف وحشمة، أغرقاني كما في هاوية باتّضاع واندهاش، فنسيتُ نوع التقديس وبقيتُ وقتًا طويلًا بالاندهاش في المنظر، من دون ذاكرة، ملتهبًا مشتعلًا، كمَن لا يدرك في ضعف ذاته اللذّة في تلك الساعة والفرح والحلاوة والدالّة من ذلك المنظور، أعني ذلك الذي يُري رؤيا مجد عظمته، وكما يعلن عن نفسه للخارجين في طلب نعمته. ولا يدرك أيضًا التبدّل والتغيير اللذين يصيبان أعضاء الجسد وحركات النفس. وذاك الذي يعطي العزاء محبّيه برؤيته، يعطي في نفسك حسنًا لا يستحقّه مخلوق على الإطلاق.

(٢) «ولمّا تبدّل أمامي واختفى من نظري بما له، عدتُ إلى رشدي واتّضاعي وعرفتُ ضعفي، ورجعتُ لأكمّل قانوني وتناولت أسرار الغفران، إذ كانت حركاتي ضعيفة وغير قادرة على العمل. إلّا أنّه قال لي: كما أظنُّ أنا، أنّ الجسد والنفس مشتركان في تلك الرؤيا، إلّا أنّي بالحقيقة لا أعرف. إلّا أنّي عرفتُ هذا: إنّه من حين وُضِعت الأسرار على المذبح فهي تتقدّس بالسرّ، لكن ينبغي لنا أيضًا أن نحفظ رتبة الخدمة لئلّا نصبح غرباء عن الوراثة».

(٣) ذلك ما قاله أمامي ذلك الأخ وهو حقّ. وهو كذلك يشرق هكذا في قلوب طالبيه[٣] في كلّ حين فيتعجّبون. إذ هم لا يميّزون إذا كان المنظر بسيطًا أو مركّبًا. وأنا أفرح جدًّا بسماع تلك الأمور وأبتهج بربّي. وكلّ مَن يحلو له فليشبع من لذّتهما بالمنظر والتذوّق بنعمة

(٣) راجع مز (٦٩، ٣٢).

معطيهما في نفسه، آمين. وكلّ مَن يحتقر فليلتجم وليبتعد عن سرّنا الذي أحببناه. مَن يحبّ هو من أبغض ما هو له. لكن فليتحنّن على ذلك الذي يحبّ الكلّ بالعودة إليه وبمحبّة أسرار خفيته، الذي له المجد من الكلّ لأبد الآبدين، آمين.

الميمر الثاني والعشرون[1]

في أنّ الهدوء ينفع النشطاء نفعًا عظيمًا[2]

(١) أتحدّث قليلًا عن اختبار، وأرسم لإخوتي التحذيرات: المتوحّد الهادئ المتّقي الذي يعرِّض ذاته لكثرة المعاشرات، يشبه التاجر الذي جمع بعرق جبينه اللؤلؤ والجواهر الكريمة، وملأ أوانيه منها ولم يشفق على نفسه من أهوال الموت، ثمّ في أثناء عاصفة بسيطة أسرع وطرح بيديه، بلا خبرة، في البحر المضطرب، كلّ مقتناه، وأخذ وحمل عوض ذلك زبل جميع أجناس الناس. ويشبه أيضًا الفلّاح الذي تعب وشقيَ وجمع خبزه وحفظه للآخرين، ثمّ أخذ عوضًا عنه المُرَّ والصبر لغذائه. المتوحّد المتقيّد والحريص والمبتعد عن جميع المعاشرات، ولو كانت راقية وغير مألوفة جدًّا، ذلك يتمتّع بالطوبى التي لا شبيه لها.

(١) راجع م هـ س ٢٥أ-٢٥ب، م ح ع، ص ٨٦.

(٢) هذا الميمر خصّصه الدلياتي للحديث عن واجب الصمت والهدوء والعزلة لمَن أراد اعتناق الحياة الرهبانيّة. فالعزلة عن الخارج تؤمّن الهدوء الداخليّ، إذ إنّها تُبعد المتوحّد عن الشتات الذي يسبّبه العالم الخارجيّ. إنّها من الممارسات الأساسيّة في مرحلة التطهير، وهي الأولى في سلّم الحياة الروحيّة الذي يقود إلى الكمال، وهي ضروريّة لمَن أراد الصلاة والتأمّل والمشاهدة، فالنفس تستنير بنور الربّ وتنخطف بمجده.

(٢) طوبى للنفس التي، عند انحناء الركبتين في الصلاة، وقبل أن يلتصق الوجه بالأرض، يشرق عليها بهاء شعاعها الطبيعيّ، وترى حسنها وتبتهج، وإذ تشخص إلى ذاتها وتفرح، ترى تبدّل شبهها إلى شبه إلهها، وتغوص بمجده في وسط العجب وتتّقد أعضاؤها بحدّة لهيبه، وتتقطّع مفاصلها وتقع على الأرض من شدّة الحلاوة، وتتبدّل رائحتها إلى رائحة لا شبيه لها، ويتّسع حضنها بلا نهاية، وتنسى طبعها وتصبح حيّة من دون شعور، ومن دون استنشاق، وتقوم بالاندهاش من دون حراك ومجرّدة من إرادتها، على ما أراد الذي اتّحد بها، وتتقدّس بالروح وتتكامل بالعلم. وهكذا لم تلتفت إلى ورائها بالرغبة في المعاشرات، وحرمت نفسها منها مهما كانت عظيمة.

(٣) بالحقيقة أنا أعرف إنسانًا اختبر ذلك في ذاته بالرحمة، واختاره في وقت الصلاة والخدمة والنظر إلى داخله. وقال: لا أعرف شيئًا يجعل هذه الأمور مظلمة في نفسي ويغيّبها عن نظري، أكثر من المعاشرات، حتّى لو كانت فاضلة وصالحة. ومكانها، تكثر الحسرات والآلام والشقاء حتّى الدم. وإذا كانت المعاشرات تُحلُّ بالأمور العظيمة وتبدّدها، فكم بالحريّ تبدِّد ما هي صغيرة. طوبى لمَن يثبت عند كنزه ويشخص إليه من دون انتقال في الهواء ويترك كلّ شيء. هذه الأمور تقيم عنده بغير تبدُّل وتعطيه نظرها لتطيّبه في كلّ حين كحبيب لها.

(٤) ويلاه! ويلاه من التائهين! لأنّهم يجمعون لأنفسهم من كلّ موضع الضرر والشقاء. أمّا ذلك الذي أسلم نفسه لله وطرح همّه كلّه عليه، ورفع نظره راجيًا بقوّة العقل وطول الدعاء، فهذه الصلاة تكفيه ما دام

العقل قائمًا في ما هو له: «إلهي أعطني محبّتك، وإن كنتُ لا أستحقّ دالّة المحبّة التي بها أدعوك أبي»[٣]. هو يعلم ما يصلُح لك ويعطيك ما لم يخطر ببالك أن تطلبه. مَن يسلّم نفسه لله، ومثل الحكيم يحسبه، ويُطيل نظر قلبه إليه، بالانتظار وبالانقطاع عن كلّ حركة وكلام، فالله يجعله حكيمًا بما له وهو الذي يعلم تواضعه. والغنى الأزليّ الذي لربّ الكلّ يشرقُ في خُفية أفكاره لتطيّب حياته.

(٥) إعتَرِف بعدم معرفتك أيّها الميت واحتفظ بتلك الأمور التي هي للكلمة! وحركة النفس لا سلطان لها أن تتحرّك نحوها[٤]. إنّه شاء أن يعطيك حسنات لا حديث عنها بالكلام أو الخطوط أو بحركة النفس، إن أعطيته طلبتك كلّها كما يجب، فله المجد لأبد الآبدين.

(٣) ندعو الله أبانا في الصلاة الربيّة (راجع متّى (٦، ٩)) وكثيرًا ما يشير إليه الكتاب المقدّس بأنّه أب على لسان يسوع نفسه.

(٤) إذا كانت حركة النفس لا تستطيع التحرُّك نحوها فذلك يعني أنّ النعمة وحدها هي التي من شأنها إيصال المتوحّد إلى تلك الأمور.

الميمر الثالث والعشرون[1]

في الحبّ وفي محبّة الله ومن أين يبتدئ الحبّ في الإنسان
وإلى أين يصل ومتى يتحوّل إلى محبّة،
وفي سرّ العالم الجديد والاتّحاد بالله[2]

(١) المجد لفيض حبّك يا إلهنا. جليل حنانك المتحنّن على الكلّ[3]، الذي وهبته بالرحمة لعالمنا المسكين، إذ بما لنا ضعُفْنا، وبما هو منك اغتنينا[4]. الشكر لك على الشعاع الذي أشرق منك علينا[5]، حتّى تجعلنا نحن المظلمين مضيئين. عظيمةٌ الحياة، التي من حضنك نبعت لنا، إذ جرت فينا «أنهار مياه الحياة»[6] نحن الممتلئين من

---

(١) م هـ س ٢٥ب-٢٩أ؛ م ح ع.
(٢) في موضوع الفرق بين الحبّ والمحبّة راجع الشيخ الروحانيّ، **الرسائل الروحيّة**، ترجمة وتحقيق الأب سليم دكّاش اليسوعيّ، منشورات دار المشرق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩، ص ١٧.
(٣) هذا الميمر يعتبر ملخّصًا لتعليم الشيخ الروحانيّ يوحنّا الدلياتي، إذ إنّه يحتوي على مشورات ونصائح وتوجيهات تتناول مختلف مراحل ومفاصل الحياة الروحيّة منذ دخول المبتدئ الدير وكيف أنّه، بتطبيقه الوصايا، يحبّ حبًّا، أي إنّ إرادته الخاضعة هي الفاعلة وواجبه هو أن يحفظ القاعدة والقانون، إلى أن ينتقل إلى درجات متقدّمة حيث تشعله المحبّة بنارها. وهذا الميمر يتناول بوجه خاصّ مفاعيل المحبّة.
(٤) الله هو الحنّان. راجع مز (٦٧، ١).
(٥) راجع رسالة يعقوب (٢، ٥).
(٦) راجع مز (٨٠، ١).

القبائح، لقيامة الموتى الذين يختبئون في داخلنا.

(٢) يا الله، الذي يزمع أن يسكن في نور أقنومه، الناطقون البسيطون والمركّبون في انبساطٍ واحد، شبيهِ حسن مجده، أرني بلد حبّك لأتكلّم عليه قدر ما يستطيع ضعفي، الذي هو صنيعُك. أمزج فيّ يا ربّي رحمتك بنعمتك، فأتحدّث عنها لتلتهب قلوب محبّيك، الذين خرجوا في طلبها. لا شيء عندنا، يا ربّي يتكلّم على ما هو لك، بل أنت تكلّم فينا عليك وعلى ما هو لك، كما يحسن لك.

(٣) أخلُط يا ربّي قوّة روحك بكلمات كتاباتنا، لتكون قدسًا مقدّسًا في أذهان سامعيها. أشرق فيهم يا ربّي نورَ معرفتك ليروا الأمور التي هي مستترة في حضنِك ويعرفوها، وهي تنكشف للذهن بمراحمك فقط. ولا تتيح للظلام بأن يتحدّث عنها.

(٤) ليس مَن يقدر أن يخبر عن حبّك، كما هو، يا أبانا الصالح[٧]. إذ إنّ الذين أشرق فيهم، لا يخبرون بشكلٍ صريح. فهم يسكنون صامتين وسط الناس. قطعوا منهم الجنس والقبيلة وكلّ حبّ جسدانيّ ورموا ذلك. وجعلوا أنفسهم غرباء عن الكلّ. فعندما ينزعون عنهم هذه الأمور، يسرعون ليستطيعوا أن يدركوا حبّك القدّوس. تخلّوا عن الراحة ولبسوا الشدّة. بغضوا الترف وأحبّوا العذابات. تركوا عالمهم بكلّ مفرحاته، وهم لم يشعروا بعد بالعالم الآخر وخيراته. صرفوا وجوههم عن مقتنياتهم، وما كانوا قد أبصروا ما هو آت. تركوا الأفراح، وفضّلوا الضيق والبكاء ليل نهار، وما كانوا يطلبون، لم يكونوا قد عرفوا. لم يعرفوا حتّى الآن مَن يسرعون في طلبه ليدركوه،

(٧) راجع يو (٧، ٣٨).

استبدلوا ما هو لأبيهم الفقير، ليأخذوا عوضه ما هو لأبيهم الغنيّ. هم حتّى الآن يطلبون ما هو له، من دون أن يشعروا بأنّه يعطيهم، إذ هو عالمهم وبلدهم وميناء راحتهم وبهاء مجدهم، إليه يبلغون في نهاية جريهم.

(٥) آه لحبّك يا إلهنا، ماذا يفعل؟ تعطي ذاتك أنت عالمًا، ومأكلًا ومشربًا وأفراحًا للذين تركوا عالمهم وبغضوا أفراحه وتركوا أيضًا مجده، ومن أجلك يتعذّبون. وإذ لم يشعروا بهذه، لم يصبروا أيضًا. ولأنّ لا شيء كان لهم ليعطوه من أجلك، أسلموا أجسادهم بسببك للموت وهم فرحون. وصاروا موتًا لمَن يريد أن يميتهم وقتلوه بحياة القتيل[٨]. ساروا في طريق الأحزان فرحين، يحملون الشقاء في أعضائهم. مصلوبون وهم فرحون. وحين كانت الشدائد تحيط بهم من كلّ جانب، لم يريدوا معونة للنجاة، بل صرخوا: «أعطنا قوّة يا أبانا لنتألّم من أجلك»[٩]، ولتكثر بالتالي الشدائد. يتضايقون إن لم تحلّ بهم الشدائد. ينوحون ويبكون إنْ لم تُحِط بهم الأحزان. يُفرحون ربّهم بأصوات منطلقة، إذ يصرخون وقت التنهّد: «لا شيء هي أوجاعنا أمام مجدك الذي هو مزمع أن يظهر فينا»[١٠]. يوبّخ اللحميّون الروحانيّين الذين يرسلون لهم الشدائد قائلين: «أخزوا أيّها الفسقة، ما أضعف العذاب الذي تلقونه علينا. إنّنا مشتاقون إليه في كلّ حين، لأنّنا لا نشبع من شدائدكم». أيّها الختن، الأبهى من الكلّ، الذي مزج دمه في وليمته وهو فَرِحٌ، ومدعوّوه يتلذّذون بالشقاء

(٨) راجع متّى (١٩، ١٧).
(٩) القتيل هنا هو يسوع المسيح المصلوب والمائت عن خطايا العالم، وقد خلّص العالم بموته. راجع روم (٨، ٣٤).
(١٠) راجع فيل (١، ٢٩).

وهم فرحون. مَن هو الذي لا يدهش، ومَن لا يتعجّب حتّى ولو كان قلبه من حجر، من هذه الرؤيا العجيبة؟

(٦) أنظر يا أخي ما يفعل الحبّ بالذين يمتلكونه. إذ هم شربوا منه وسكروا ونسوا حياتهم الزمنيّة وعالمهم، سمعوا ربّهم حين قال لخاصّته: «إذا كنتم تحبّوني احفظوا وصاياي»[١١]، وبها تُحفظون. حفظ الوصايا، يا إخوتي، هو حسنٌ، في داخله يُحفظ الذين يحيط بهم. لا ينجو من اللصوص، سارقي الحياة، كلُّ مَن ليس هو محبوس في داخل هذا السور. الوصايا هي التي تحفظنا، ولسنا نحن الذين نحفظها. أعني هي التي تعطينا الحبّ المقدّس. «إذا حفظتم وصاياي، تثبتون في محبّتي»[١٢]، قال كلمة الله. وعندما نسير في طريق الوصايا، نثبت في الحبّ. وبتكميلها، توصلنا الرحمة إلى ميناء راحة المحبّة.

(٧) لكن تقول: أرني ما هو الفرق بين الحبّ والمحبّة. أسمعني يا أخي أقول لك: إنّ الحبّ نفسه يصل إلى كمال المحبّة المقدّس. كالصبيّ الصغير الذي يبلغ كمال القامة. فمَن هو قائم في بلد الحبّ، عمله هو أن يحفظ الوصايا. وبتكميلها، يعطيه واضع الوصايا المحبّةَ المقدّسة، ابنة الوصايا. الحبّ هو أبو الوصايا، وابنة الحبّ، المحبّة، هي أمّ للمحبوبين، وابن الرحوم يسمّى محبوبًا، أي إنّ خاصّته تحبّه وتشفق عليه. الحبّ يختصّ بمَن هو قائم حتّى الآن في بلد حفظ الوصايا. ويقال أيضًا إنّ الحبّ هو خاصّة العبيد. والمحبّة هي من الأبناء تجاه الآباء، كما أنّها من الآباء تجاه الأبناء.

(١١) راجع روم (٨، ١٧-١٨).
(١٢) راجع يو (١٤، ١٥).

(٨) حافظ الوصايا ينسى الحبّ عند مجيء المحبّة، ويشتاق إلى أن يكون في الله. تَجاوَزَ الحفظ، بلد الحبّ، الذي كان يُتعبه كلّ حين بتكميل الوصايا. وأسلمه الحبّ إلى المحبّة، النار المحرقة، التي تعذّب الذهن بالرغبة في الاتّحاد بالمحبوب وفيه. تطلب إليه: أعطني تلك التي تحدّثت بها إلى الآب: «أعطهم أن يكونوا فينا واحدًا». من فمك القدّوس، سمعتُ ما تقول: «أبي وأبوكم، وإلهي وإلهكم». «إخوتك» سمّيتنا. أشْرِكْنا معك في ميراثك، أنت وارث الله ونحن مقاسمو ميراث يسوع المسيح.

(٩) آه للمحبّة، الأمّ القدّوس، التي تلد بنين لله، شبيهين بعظمته ومتّحدين بمجده. المحبّة لها الإذن بأن تجعل مَن يُحبّ، أقنومَ المحبوب[١٣]. أتَرى كيف أنّها وضعت سمعان في موضع المحبوب؟ أسَمِعتَ حين سأله ثلاث مرّات؟ لم يقل له أتحبّني حبًّا؟ بل قال: «يا سمعان بن يونا، أتحبّني محبّة؟»[١٤] وماذا حصل بعد أن أظهر له أنّه يحبّه محبّة؟ وضعه في موضعه وسلّطه على قطيعه. فالمحبّة بدّلت سمعان بالصفا، وأقامته راعيًا على القطيع المخلّص، في مكان الراعي الصالح[١٥]. أرأيتَ أنّه سمّاه باسمه، ودعاه الصفا. إذًا أيضًا على صورته، رعى قطيعه، وصبر على الآلام من أجله، في أثناء رعايته كلّها. وفي ختام سعيه، ذبح ذاته من أجل القطيع على شبه معلّمه. تفهم الآن كيف أنّ المحِبّ أصبح أقنوم المحبوب[١٦] والتلميذ المحبوب قال «إنّه عرف

(١٣) راجع يو (١٥، ١٠).
(١٤) أي إنّ المحبّة تجعل من الذي يحبّ كيانًا للمحبوب.
(١٥) راجع يو (٢١، ١٥).
(١٦) راجع يو (٢١، ١٦).

بمحبّة سيّدنا نحوه مرّتين»[١٧]. هو التلميذ الذي أحبّ يسوع محبّة. وقال: إنّ يسوع كان يحبّ مرتا ومريم وليعازر حبًّا[١٨].

(١٠) إقتنِ لك أيّها المتوحّد حبَّ تكميل الوصايا، حتّى تستحقّ قبول المحبّة. بالمتوحّد المتمسّك بالحبّ، يبغض العالم من كلّ ما به. وهو مشتاقٌ إلى أن يكمّل تلك الأمور التي سمّيتها. المحبّة نار تشتعل، لا تترك ذلك الذي تأجّجت فيه أن يُتمّ النظام الذي قرّره. بل إنّه يبدأ ولا تتركه يكمّل. هو يقوم إلى الخدمة الإلهيّة بالفرح ويبدأ، فتنبع من داخل قلبه المحبّة. ويحمو القلب إذ يتوقّد الجسد كلّه بقوّة المحبّة ويلتهب، فلا يستطيع من بعد أن يقوم على رجليه. يسقط على وجهه مثل الميت، فتنكسر قيثارته، ويقوم في الجنون فقط، ويظنّ أنّه في حريق مع كلّ ما حوله، حيث نُفِخَت فيه نارُ الحياة من محيي العالمين.

(١١) يشهد لي ربّنا بأنّني لا أكذب: سمعتُ عدّة مرّات واحدًا من الإخوة أنّه حين كان يسكر من محبّة المسيح، ولم يكن يقدر أن يمسك ذاته من النار الإلهيّة المتوقّدة في قلبه، وتحرّكه ابتهاجًا عند إشراق مجد الله عليه، كان يصرخ ويقول: «آه كم تُلهب محبّتك يا إلهي! اضمحلّت حياتي بمحبّتك يا ربّنا، ولم أعد أستطيع الاحتمال». وأيضًا كان يصرخ مرّات عديدة ويقول: «طوبى لِمَن يسكرون من محبّتك». وأيضًا: «آه من جمالك الذي لا يوصف!» فاقدًا وعيه لما هو له ولِكلّ شيء. وكان يصرخ مرّات كثيرة لا حصر لها: «أيّها الآب أبي». وأحيانًا أخرى كان يصرخ بدالّة، لا يليق أن يكتب

(١٧) راجع يو (١٣، ٢٣)؛ و(١٩، ٢٦).
(١٨) راجع يو (١١، ٣٥).

عنها، لئلّا يلومني العارفون، فأكون وقحًا بكشف الأسرار التي لا يكتب عنها، أو أُحسَبُ مجنونًا وأبله عند الضعفاء.

(١٢) نَسِيَت المحبّة ساعة الصلاة الليليّة وقطعت الخدمة، وهي متّقدة برغبة مَن هو موضوع الخدمة. يقوم الراهب لياليَ وأيّامًا وأحيانًا أسبوعًا أيضًا، ولا يتذكّر أنّها خدمة. ويعرض له أفضل من وقت إلى آخر، وحتّى وقت تقديم القرابين الطاهرة، لا يتذكّر الحركات النقيّة على مذبح الصلاة، وأحيانًا يتملّك به الانحلال والبرودة أيضًا عندما يكون واقفًا. يسقط على ركبتيه ويلتصق وجهه بالأرض. فقد فجّرت المحبّة ينبوع التطويبات في القلب، وهو ميناء الأفهام. إنّها أنهار مياه الحياة، ومعرفة أسرار العوالم الكائنة والتي ستكون. تملأ الجسد مع النفس حلاوةً تفوق كلّ تسمية. ولم تعد الركبتان تستطيعان حمل الجسد في أثناء الركوع فيسقط على الأرض. وتفجّرت الحدقتان بالدموع المتوقّدة بالمحبّة، وأحرقت الخدّين بحرارتها. وشربت الأرض وتباركت، هي التي كانت لُعِنَت منذ القديم[١٩].

(١٣) وهكذا، لا تصبر المحبّة: يُسَكَّت الجسد مع الذهن فيرتفع ويتعجّب ويشخص محدّقًا، إذ تُشرق عليه الأشعّة التي هي أرفع وأعلى من كلّ شيء. هي أشعّة النور، ذي الجمال المشتهى، الذي لا يُقترب منه. أشرقت عليه المراحم، واجتذبته إلى بلد هو لا بلد، عالم لا اسم له، ذو طبيعة لا بداية لها. شبعت الآن إذ لم تكن قد شبعت، وامتلأت وما فكّرت في أنّها ستمتلئ. بَرُد لهيبها، ولم تعد تستطيع أن تشعله. نسيت العالم وكلّ مقتنياته، اجتازت بلد الروحانيّين وكلّ سبلهم،

---

(١٩) راجع تك (٥، ٢٩).

مضاءة معهم ومتنوّرة مثلهم. نسيت حاجتها الأولى، مستنشقة حياة الروحانيّين.

(١٤) آه أيّتها المحبّة المقدّسة؟ إلى أين رَفَعتِ النفس التي تمسّكتِ بها. لقد اتّحدت بنور خالقها وأصبحت الآن شبهًا للعظمة، ولا تذكر ما هو لها ها هنا، ولا تفهم طبيعتها أنّها مخلوقة. تعرف فقط ما هو معروف، ولا تعرف شيئًا آخر معه. وجدت تلك التي تاقت إليها وهدأت. أيّتها الأواني المختارة المتّقدة بالنار والروح لكي تكون مسكنًا لخالقها، اسمعي قوّة المحبّة: لا موهبة تظهر في جزء وتختفي في آخر بشكل سرّيّ، أعني في النفس والجسد، بل تبدّل عجيب يتناول الاثنين ويوحّد الواحد بالآخر ويوحّد الاثنين بالمحبوب.

(١٥) وإذا أَظْهَرَت [المحبّة] هذا التبدُّل العجيب للنفس والجسد، فهذا لا يعني كما لو أنّ موهبةً حلّت فيه، بل إنّ أقنومه امتلك محبّة هي أرفع من كلّ المواهب. فنسي وسها كيف كان قبل تبدّله. ومَن هو ذاك الذي سكر بهذا كلّه، ومَن هو ذاك الذي يتذكّر القواعد والقوانين، تلكَ التي أوصلته إلى ميناء كلّ الأعمال. فمن الآن تكون مراحمه فائضة على الكلّ مثل الله الذي يفيض مراحمه.

(١٦) وتظهر له المحبّة أنّه محبوب أكثر من الكلّ، فتصطلح معه الحيوانات المُفسِدة والدوابّ والطير والدبيب المؤذي، فتستنشق منه رائحة خالقها. وكذلك الصخور والأخشاب وكلّ الطبائع التي لا حسّ لها، تكون مسالمة معه. ولِمَ أتوقّف على هذه؟ حتّى العُصاة يظهرون له الطاعة، من خلال الخوف الذي يحلّ عليهم. عجيبةٌ هي أيضًا المحبّة التي يظهرها الملائكة نحوه، ويصعب على الكلام أن يترجم هذا. ذلك الذي أحبّه أكثر من الكلّ، يمنحه المراحم أكثر من الكلّ.

فالمحبّة وُجِدَت اسمًا لله[٢٠]، إذ لا يلفظ اسمه فمٌ ناطق على الإطلاق، ولا يُسمّى بألقاب من عالمنا، بل من العالم الذي تتحرّك فيه ملائكة النور، أي عالمهم الممجّد، يفرح معها ويتعجّب، ويقدّس بأصواتها الحلوة اللذيذة، الممتزجة بحلاوة الطيّب الصالح. ولا يتعجّب بالخلائق، بل بالخالق. لا يعرفه من أفعاله[٢١]، بل يتبصّر في مجد طبيعته، متوقّفًا عن كلّ الحركات والأحاسيس.

(١٧) في العالم المزمع، هناك تكمُل في الناطقين كلّ قوّة المحبّة، حين يصبح الجميع أبناء لله، «إذ يصيرون أبناء القيامة»، على حدّ ما قال ابن الله، هناك حيث يرون أقنومهم على صورة أبيهم، ولا يطلبونه بعد ذلك خارج أقنومهم. كلّ واحد منهم يظنّ أنّ اللامحدود محدودٌ فيه فقط. رؤيته منبسطة عقليًّا بصورة لا تُدرَك، وهو محبوسٌ في أقنومه، وليس للرؤية أن تتيه خارج أقنوم الرائي. حياتهم ممتزجة بهم، وأقنومهم يعرفونه حياةً. يفرحون بذواتهم، يبتهجون بها، يتعجّبون بها. يصرخون: «مبارك مجد الربّ من بلده»[٢٢]، كما لو أنّهم هم بلد الأزليّة. لا يلبسون النور، بل النور هو أقنومهم. حينئذ «يضيء الأبرار مثل الشمس في ملكوت أبيهم»[٢٣]، ويتراءون شبيهين له. لا يرون هناك شبيهه وشبيهين له. بل، عند رؤيته، يعرفون شبه ربوبيّته. هم متّحدون بالطبيعة الإلهيّة، لكن من دون أن يتحوّلوا إلى طبيعة إلهيّة. فالاتّحاد منذ الآن يُعرف وحدةً، إذ إنّ قوّة التمييز قد توقّفت.

---

(٢٠) راجع ١ يو (٤، ٨).

(٢١) العلاقة هي شبه مباشرة بالله عزّ وجلّ، أي إنّ المتوحّد تقوده المحبّة إلى الله، من دون التوقّف على أفعاله.

(٢٢) راجع حز (٣، ١٢).

(٢٣) راجع متّى (١٣، ٤٣).

(١٨) ونعطي هذا المثل الصغير لينير فهم القارئ: أنظر إلى النار التي اتّحدت بالحديد داخل الكور. فهناك لا تُعرَف هيئة الحديد، لأنّه صار شبيه النار باتّحاده بها. فلا ترى شكلَيْن، بل واحدًا. اختفت القدرة التي تميّز الطبائع، إذ إنّ الطبيعتين أصبحتا على شكل الطبيعة السامية، فتُرى أقنومًا واحدًا، زاد حسنه بالمجد. والحالة هذه، تُحفَظُ الطبائع في هذا الشكل بلا تمييز، فيرى أبناء الله ذواتهم على شبه أقنوم أبيهم. إذ ذاك يصيرون كلّهم آلهة بنعمة خالقهم، ولا يكون نهاية لنموّهم. يرون كيانهم يزداد حسنه دومًا، إذ إنّ ممجّدهم يتجلّى فيهم بتجلٍّ متفاضل. ولكنّهم لا يمتلكون طلب المزيد، لأنّ طبعهم لا يستطيع القبول، إذ إنّ طبعهم ممتلئ في كلّ حين. وكلّما تتنامى الطبيعة بالمجد، تزداد عظمة المجد الذي يتجلّى فيهم بلا انقطاع، ويكون أقنومهم ينبوع النور، وفيضه يزيد باستمرار لأنّ المزيد هو للآخذين، لا ينبوع الطوبى. لا يشعرون بالمزيد، كما أنّ الذين يتنامون لا يشعرون بنموّ القامة الجسديّة، بل إنّهم يرون فقط مجد أقنومهم يزيد حسنًا. وكلّما زاد حُسْنًا، كثرت المحبّة وامتزجت محبّتهم بأقنومهم. التسبيح لمَن هو مزمع على أن يرفع إلى هذا العالية البشريّين والطبائع غير الجسميّة! التسبيح من الكلّ في عالم الزمن وفي عالم أبد الآبدين. آمين[٢٤].

(١٩) هكذا يكون أقنوم الكائنات العقلانيّة: مرآة بها يُرى ما لا يُرى،

---

(٢٤) إنّ المحبّة هي التي تقود المتوحّد إلى هذه الحالة من الاتّحاد بالطبيعة الإلهيّة من دون التماهي فيها والذوبان، حيث إنّ مَن قاسى معه حاملًا صليبه، ينال المجد الموعود في العالم العتيد. راجع موجزًا لهذا النصّ في ابن العبريّ، **كتاب الإيتيقون، فلسفة الآداب الخلقيّة**، ترجمة الملفان مار غريغوريوس بولس بهنام، مطبعة الشباب، مكتبة دار اللواء - قامشلي، ص ٤٠٥-٤٠٦.

فتبتهج بحسن أقنومهما وتندهش. ذاك هو قدّوسهما وتسبحتهما. فالمحبّة تكشف وتظهر كلّ هذا لجميع الذين يمتلكونها من ها هنا. المحبّة تضع هذه كلّها وتُسكنها في قلوب الذين اقتنوها. بالحقيقة أقول بالدالّة التي عند إلهي ولا أكذب أنّهم يرون، مرّات كثيرة، أعظم من هذه التي تحدّثت عنها، وأكثر منها وأرفع من تلك التي لا تقع تحت الرسم. والروح كاشف الأسرار، يظهر للذين امتلكوا المحبّة القدّوسة، الهبة العظيمة، أمّ كلّ الهبات.

(٢٠) لكن أنت تسأل: مَن يعطيني هذا الكنز، الذي فيه وُضِعَت الحياة الأبديّة. أطلبه بواسطة الحبّ، مكمّل الوصايا. أخضِع إرادتك لإرادة الله. فهذا هو كمال الوصايا والحبّ المقدّس. وتضرّع بأنين خفيّ إلى الله في الليل والنهار قائلًا: «أيّها الأب الصالح، أعطني محبّتك، وإن كنت غير مستحقّ». تكفي هذه مكان كلّ الصلوات. مكانها لا تنفع كلّ الطلبات، وليس من طلبة يفرح بها الله مثل هذه. هو يفرح دومًا بهذه، فلا توضع قواعد وقوانين ونواميس أرفع منها، لأنّها ارتفعت، في علوّها هذا، أكثر من كلّ هذا. فإنّ كلّ الصلوات والتسابيح لها غايتها: أمّا تلك الطلبة فإنّها توصل إلى التعجّب الذي لا نهاية له. هذه هي غاية كلّ الحركات. هذه هي قوّة النفس الشرهة التي ارتفعت إلى الرغبة في الله. وأيضًا العوالم التي يسمّيها آباؤنا العوالم العتيدة هي أقانيم الناطقين. كلّ واحد منهم يعرف نفسه عالمًا وبلدًا ومسكنًا، ولا يعرف ذاك الذي لرفيقه، إن من اليمين أو من اليسار. كلّ واحد يعرف فقط ما له من ميراثه ومدبّر الميراث. في أقنومه ينبع النعيم أو العذاب. التسبيح لذلك الذي أتاح لنا نحن عن الأشقياء أن نتكلّم على مثل هذه الأمور، إلى أبد الآبدين. آمين.

(٢١) إذا كنتَ تقول يا أخي لماذا لا أرى المزمعات، ولا أفحص الخفيّات، ولا أتكلّم على العجيبات، ولا أفهم الأسرار الممجّدة، اسمعني يا أخي أقول لك: ما هو السبب لكي تكون محرومًا هذه الخيرات. بالحقيقة إنّه لا ذهنَ ناطقٍ لم يُجعَل ناظرًا لكلّ ما هو كائن وما سيكون، لولا أنّه عَمِيَ بتلك المنظورة. ولا قلب إنسان إلّا وهو ينبوع الأسرار المخفيّة في حضن الآب، لولا أنّه أقفل طريقه بنجاسة الأهواء. ولا لسان إنسان كُوِّن على شبه الله إلّا بعجائبه كان ينطق، وأسراره الخفيّة كان يكشف، لولا أنّه لم يصبح أخرس من برد السيّئات. ولا نفس تُبجّلُ المسيح في حضنها، إذا ما تنجّست مع عدوّها برخاوتها. بل التوبة تلدنا ثانية أشباهًا لله وتجدّد هذه كلّها فينا. مبارك مَن هو واهب التوبة، التي أعطاناها لقيامة ميتوتنا[٢٥]، له المجد إلى أبد الآبدين. آمين.

---

(٢٥) راجع ١ قور (١٥، ٤٢).

الميمر الرابع والعشرون[1]

له أيضًا في التأمّل في تدبير ربّنا
وأنّه يرفع إلى النظر رؤية مجده الأعلى الذي يتهجّى به دومًا
ويجعله مستحقًّا أن يكون له مسكنًا وإلهًا وابن إله وشبه الله[2]

(١) أمرٌ عجيب أريد أن أحدّثك عنه يا أخي فانصت لي: إجمَع حواسّك من الطيش وهدِّئ قلبك عن الحركات، لِتَجِدَ فَهْمَ ما يقال وبها تستنشق الحياة. أنظُر إلى مصوِّر الجنين المبارك الذي من حين ميلاده، ابتدأ بالطريق الغريبة المضنية لتعليمك، وامشِ في إثره لترى ما فعل من أجلك. لأجلك وُلِدَ على شِبهِكَ ليولِّدَك على شبهه. جعل مولده في مغارة كمَن لا بيت له ولا مأوى، وهو خالق كلّ العالمين ومأوى كلِّ العوالم: لُفَّ في الخِرَق ووُضِع في مذود، وفي سرير

(١) م هـ س ٢٩أ-٣٠ب؛ م ح ع، ص ٩٦.
(٢) إنّه ميمر كتبه الدلياتيّ للتأمّل في «تدبير ربّنا» فيعطي الكثير من التوجيهات والمشورات والطريقة الفضلى للقيام بذلك التأمُّل: أوّلًا، استجماع الحواسّ وإسكات الحركات والتركيز على الموضوع؛ ثانيًا، استذكار معاني الأمور والأحداث؛ ثالثًا، مشاهدة تلك الأحداث على مستوى الوجدان والمشاركة في الأمر موضوع التأمّل، فلا يدعو الدلياتيّ إلى إعمال الفكر وَحَسْب، بل المخيّلة والعاطفة، إلّا أنّه يشدّد في الوقت عينه على الواقعيّة الروحيّة. التأمّل يصل إلى غايته عندما يشترك الراهب فعليًّا في أحداث الإنجيل وعندما يراجع الراهب حياته بهدف تأسيسها على كلمة الربّ.

حقير وموضع دنيء. ذاك الذي هو الكنوز كلّها وملك الملوك ومالك لأبد الآبدين، حملوه وهجروا به مثل مسكين شحّاذ، ذلك الذي هو ميناء الأشقياء. وربّوه بفَزَع ورعدة، ذاك الذي هو فرحُ الكلّ ومُحَلِّل كلّ سلطان ومبطلُ كلّ الفَرق. واضطهدوه مثل مستحقّ الموت، والتجأ إلى الهرب من قاتليه مَن هو قاتل الموت.

(٢) عُمِّد مَن هو قُدْسُ الأقداس ليقدِّسَك صوتُ الآب على الأردنّ ونزول الروح على رأسه، لتعلم أنّه خرج ليرفعك معه إلى عند أبيه إن مشيت معه في إثره. صام ليعلِّمك الصراع والغلبة. صار سخرية لتنال أنت المديح. أحنى رأسه ليرفع رأسك الذي أحناه أعداؤك. شرب الخلّ والمرّ ليحلِّيَ نفسك التي شربت المرارة من فم التنّين. مات على الخشبة ليقيمك من الموت الذي صار بالخشبة القاتلة. دخل في طلبك إلى البلد المظلم ليخرجك إلى نوره الأبديّ. أرني ما كافأته عوض ذلك؟

(٣) يا أخي، إن أردتَ أن تبتهج من ها هنا برؤيته، انظر بوجدانك إلى تدابيره مثل بطرس ويوحنّا بالحسّ[٣]، لا مثل حديث السنّ. هكذا اهذُذ دائمًا، على ما أقول لك. وبالحقيقة ينكشف لك بهذيذك ويجعلك مستحقًّا رؤيته الشهيّة، ويلهب نفسك بالرغبة في محبّته، ويعطيك دالّة عنده ويفرّحك. إحمله في حضنك مثل مريم فتكون نفسك مربّية له مثلها. وحين يدخل المجوس، قرّب معهم القرابين. ومع الرعاة بشِّر بميلاده ومع الملائكة أعلِن تسبحته. وحين يدخل به أهله إلى الهيكل، بين ذراعيك اقبله. وحين ينزل إلى مصر، على

(٣) هذا مثلٌ لما يدعو إليه الدلياتيّ من استعادة الأحداث على مستوى الوجدان، وبالتالي المشاركة فعليًّا في ذلك.

كتفك احمله، واذهب به مع يوسف، ليجعل نفسك مثل أورشليم وهي التي كانت أصبحت مثل مصر. وحين يجيء مع الأطفال اسرقه وقبّل شفتيه واستَنشِق منه رائحة جسمه المحيي الكلّ، كما كانت لذّة مريم في ذلك. بالحقيقة أنا أعرف إنسانًا يشبهها: لذلك كان يُجتذب إليه.

(٤) كن طفلًا على شبهه وكن تابعًا لنشأته في كلّ أدوارها، فهكذا تمتزج فيك محبّته بالتصاقك به على الدوام، فتفوح من جسدك الميّت رائحة الحياة التي تأتي من جسده. وحين يسأل في الهيكل ويجيب المعلّمين، أُعْجِب بحكمته. وفي عماده، كن رفيقَ يوحنّا. واسمع وشاهد كلّ ما قام به هنالك. وفي أثناء صيامه، معه كن صائمًا[٤]. وحين يبدّل الماء خمرًا، املأ أنت الأجاجين، وحين يجلس إلى البئر مع السامريّة، اسمع وافهم العمل الروحانيّ واسجُد السجدة الكاملة بالروح التي يطلبها الآب. وحين يقيم الموتى، اعلم «أنّه القيامة»[٥]. وحين يبارك على الخبز، احمله على ذراعيكَ وَضَعْهُ للجموع[٦]. وحين يمضي إلى البرّيّة، امضِ وودّعه. وحين ينام في السفينة أيقِظْهُ أنت. بين الجموع كن معه. في الطرقات كن معه. إلى البرّيّة كن معه. في السفينة كن معه. إلى كور الزيتون كن معه. في الهيكل اسمع تعليمه. كن مدفوعًا مثل أليعازر ليقيمك ويخرجك مثله من صميم ظلمة الجهل. بُلَّ رجليه مثل مريم وامسحهما بشعر رأسك، لتسمع حلَّ خطيئتك. في أثناء العشاء، تمدّد على صدره، وحين

(٤) الصوم هو أداة يستخدمها المتوحّد لئلّا يكون طعامه غريبًا عن آلام المسيح.
(٥) راجع يو (١١، ٢٥).
(٦) مَثَل عن عاطفيّة يوحنّا تجاه شخص المسيح.

يقسم الخبز، تناول من يديه. وحين يغسل أرجل تلاميذه، تقدَّم نحو المطهرة لتُغسَل من ذنوبك. نبِّه نفسك التي هي أورشليم، واقبل تسبحته وتزيَّن لتستحقّ أن تقبل الكلمة. وفي جميع آلامه كن قائمًا معه وتألَّم مثله عند إذلاله وشتمه والهزء به وقبوله البصاق وتسمير المسامير، وانصلب معه على الصليب واشرب معه الخلّ والمرّ لتبتهج معه في عرسه.

(٥) مُتْ معه عند طأطأة رأسه لتقوم معه في قيامته. وفي جميع ما فعله به اليهود الوقحون، أَعجِب برحمته التي لا وصف لها، إذ منع ملائكته الروحانيّين ولم يدعهم يحرقون المسكونة وسكّانها. فالصخور والحجارة والمقابر تشقّقت، والموتى التي فيها قاموا، وقلوبنا لم تَلين والموتى الذين هم فينا لم يقوموا. حول قبره فلتكن نفسك حَجْلةً، على شبه مريم، ولها تقول الملائكة: «لماذا تبكين؟»[٧]. وحين ترى حبيبها تسأله كأنّه البستانيّ: «أين تركته؟»[٨] حينئذ يعرّفها بنفسه. وحين يدخل في العلّيّة والأبواب موصدة، كن حاضرًا. وحين يقوم على البحيرة، ويسأل عن الصيد، كن رفيقًا لسمعان وكلّ مَن معه إلى مائدة الصيد الذي صاده له خدّامه الروحانيّون. وحين يحقّق صعوده، احن رأسك ليضع يده لتبريكك. وشاهد الجوّ يشرق بشعاع الروحانيّين في وقت صعوده. وعِقْدَ أيّام، يعني العشرة أيّام التي بين الصعود والحلول، قِفْ بالعلّيّة لتنحني عليك قوّة الروح عند تقسيم الألسن.

(٦) هكذا يا أخي هُذَّ في ذهنك في كلّ تدبيره وَتَرَه على الدوام. بالحقيقة

---

(٧) راجع يو (١١، ١٥).
(٨) راجع يو (١١، ١٥).

ليس هو مخفيًّا عن نظر طالبيه، بل إنّهم يرونه فيهم ويبتهجون. طهّروا قلوبهم بالهذّ فيه وصاروا مسكنًا لاستراحته وميناء لاستعلاناته وفيهم يشرق أشعّته النورانيّة. بعد تلك الأمور، استحضِر ذكرَ الألم الذي تحمَّلَهُ من أجلك قائلًا: ويلاه! إنّه تحمّل كلّ ذلك من أجلي وتعب. وأنا لم أتحمّل واحدة منها ولم أتوجّع من أجله حين أُظهر محبّتي له. يجب عليّ أن أشقى من أجله لأنّه تعب من أجلي. فلتكن آلامه شرابًا دائمًا لي. ليعطني أن أراه مرارًا على الدوام. لا ينبغي لي أن أبدّل خالق العالمين بعالمٍ زائل. مأكولي فليكن ممزوجًا بالوجع من أجله، ولأمزج شرابي بالدموع. إنّ ربّ الكلّ يفتضح أمري: إنّه لم يقتنِ بيتًا ولا مأوى، وأنا أجعل لنفسي مسكنًا حَسَن المنظر. هو وخاصّته لم يملكوا طعام يوم، وأنا أدَّخر رزقًا لي لسنين.

(٧) جَعَل الطير والسوسن مثالًا لي وعلّمني أن أصلّي في البرّيّة وفي الجبال، وأنا أحبّ الجموع وفي المدن أجعل مسلكي. قال لي: «أن تسلكَ في طريق ألمي، تقومُ بما قمتُ به أنا»، وأنا أفضّل أمورًا أخرى، وأنا العاجز أريد ذلك، إلّا أنّي لا أعمل الأعمال التي تسبِّبُ الآلام التي تحمّلها من أجلي(٩). أوصاني ببغض النفس وبالصلب(١٠). وأنا أطلب الراحة. وأراني وعلّمني أن أتشبّه بتواضعه. إنّه لم يجاوب بكلمة قاسية على شاتميه وقاتليه، وفي أثناء الآلام التي عذّبوه بها، كان يطلب لهم الرحمة. وأمرني أن أتشبّه بوداعته وأنا الذي أَطْعَن بالرمح مَن ينخسني بكلمة صغيرة. أراني أنّه

(٩) راجع ١ بط (٣، ١٨)؛ ١ بط (٤، ١).
(١٠) راجع يو (١٢، ٢٥)؛ متّى (١٦، ٢٤).

أحنى رأسه ليذّله أعداؤه، وأنا على محبّيه الذين يحبّونني أرفع رأسي بافتخاري.

(٨) آه أيّها العالي، إلى أين تنازلت اتّضاعًا! وأنا السفليّ إلى أين أرفع رأسي افتخارًا عاصيًا! ويلاه! ويلاه! كم أسأتُ إليك يا إلهي وأخفيتُ نفسك عنّي كوني لم أسمع منك ما علّمتني إيّاه! الآن يا سيّدي أخرجُ لطلبك بالشدائد، وأستقبلك بالشكاوات وأخدعك بالتنهّد وأجتذبك إليّ. أفرّحك بالأحزان التي من أجلك وأُسِرُّك. أنظّف الوسخ الذي أنا ألبسه بدموعي لتشتاق محبّتك إلى أن تسكن فيّ، وبذلك تريني وجهك. لم تعد تصبر نعمتك على شدائدي التي هي من أجلك. وإذا كثرت شقاواتي، يُشرقُ حسنك ويفرحني. وإذا أحاطت بي الأحزان، يشرق نورك ويعزّيني. لم تعد تصبر رحمتك ليكبر ضيق الذي أعدّ نفسه الشدائد من أجلك. فمن تلك المرارة تنبع فيه الحلاوة حين تنخلط أنت في كلّ الشقاوات التي يحملها بمحبّتك، وتصير له الشدائد، لأجل ذلك، ينابيع أفراح، وحلاوة لذيذة، فنشتاق إلى أن ننظر إليه.

(٩) التسبيح لمَن يفرح بظهوره في أولئك الحزانى من أجله، لأبد الآبدين. آمين.

الميمر الخامس والعشرون[1]

في مشاهدة الثالوث المقدّس، وهي رؤية الأقانيم[2] المسجود لها، تنكشف بالرحمة لذهن المتوحّد

(١) المجد لينبوع حكمتك يا إلهنا! المجد لحكمتك الفائقة المعرفة، يا خالقنا! التي سكِرت العوالم العلويّة وأُضيئت بها، إلّا أنّها مخفيّة عنها وفائقة التفسير! ومع أنّك واحد، فأنت تسمّى بها ثالوثيًّا! فلا وحدانيّتك تُسمّى ولا ثالوثيّتك تُفهم، لأنّك متعالٍ عن كلّ تسمية!

(٢) نورك القدّوس يا ربّ الذي منه امتلأت أفهام قوّات قدسك الشاخصة إلى إشعاعاته بلا انقطاع، ذلك يا ربّ فليشرِق، يا ربّ، في خُفية ذهني حُسنَ أسرارك، لتصوِّر صوره الغامضة بالإشراق الذي يليق بنعمتك! وليعمل هذيذ الذهن بالنعمة حتّى تتعجّب بحسنك، الذي لا

---

(١) راجع م ف س ٣٣٢أ-٣٣٤أ؛ **م ح ع**، ص ٥٤-٥٦؛ **نشرة كوليس** ص ٦٠-٦٥.

(٢) يتحدّث الدلياتيّ بوجه مستمرّ عن «رؤية الله» في العديد من رسائله وميامره (**رسائل** ٤ و٥٠ و٥١ إلخ؛ **الميامر** ١ و٢ و٨ إلخ...) وهو لا يتردّد في مواجهة أولئك الذين يؤكّدون أنّ بشريّة المسيح لم تشاهد ألوهيّته، وبالتالي يواجه هنا لاهوت الكنيسة الشرقيّة الذي يقول العكس. وهذا الميمر وهو قد صيغ بتعابير لاهوتيّة واضحة تدلّ على تمكّن الدلياتي وعلوّ كعبه في مجال اللاهوت، يؤكّد مبدأً لاهوتيًّا من الأهمّيّة بمكان: إنّ المسيح هو معرفة الآب، لا عبر اللاهوت فقط بل عبر الناسوت أيضًا. وإذا كان الآب يعرف ذاته عبر معرفته التي هي المسيح، فهذا يعني أنّ طبيعة المسيح البشريّة ترى الآب وتعرفه.

يقع تحت الصورة.

(٣) إسمع إذن يا أخي نقول لك، بحسب قوّتنا، بالاتّكال على ربّنا، شيئًا لا يُنطقُ به. ما هي التسمية التي يُدعى بموجبها الثالوث في الواحد، وما هي رؤية الأقانيم الممجّدة، التي لا يُنطق بها قطّ وتُعطى بالرحمة بقدر ما يستطيع الناظر المخلوق وبقدر صفاء طهارته.

(٤) يُدعى الآب الذي يَسجُد له الكلّ طبيعة إلهيّة، والابن والروح هما قوّتان فيها. أنظر كيف أنّ الكلمة تسمّى ابنًا، إذ لمعرفته الآب يُسمّى كلمة. إنّ بولس الإلهيّ سمّاه «حكمة الآب»(٣)، وقال إنّه بواسطته خلق العالمين(٤)، أعني بمعرفته. إنّه يُنعت بالابن لأنّ به كان كلّ شيء وبه يقوم كلّ شيء. وآباؤنا في قانون إيمانهم سمّوه «الوحيد»(٥) و«البكر»(٦) إذ بواسطته تهيّأت العوالم وخُلق كلُّ ما فيها.

(٥) قال أحد الناظرين بالروح: «المسيح هو ذهن كلّ الكائنات الناطقة»(٧) وهو ذهن الآب بما أنّه معرفة الآب نفسه. ومنه تأخذ الكائنات الناطقة المعرفة. ولئلّا نعتقد أنّه قال عن الإله الكلمة فقط إنّه ذهن الآب، من دون الطبيعة التي خرجت منّا، أضاف أنَّ ابن البشر يسوع المسيح ربّنا ليس مسكن قوّة الآب وحكمته فقط، كما ضلّ كثيرون في ذلك، بل هو قوّة الآب وحكمته في كلّ شيء. ويقول كما أنّ الساكن ليس محدودًا، كذلك المسكن(٨)، في وحدةٍ تفوق

---

(٣) راجع ١ **قور** (١، ٢٤).
(٤) راجع **عب** (١، ٢).
(٥) راجع **يو** (٣، ١٨). يعني القانون النيقاويّ.
(٦) راجع **عب** (١، ٦).
(٧) راجع **رؤوس المعرفة** لأواغريوس (١، ٧٧).
(٨) راجع **رؤوس المعرفة** لأواغريوس (٢، ١١).

كلّ الأفهام. ولأجل ذلك، دُعي «وحيدًا»، و«بكرًا»، و«ابنًا واحدًا»، و«خالق الكلّ»[٩].

(٦) وإذا كان هو معرفة الآب وعقله، فالآب بمعرفته يرى ما له ويعرفه، وكذلك كلّ الأشياء. فماذا نقول عن أولئك المطروحين في العمى، الذين يتحامقون ويقولون إنّ الطبيعة التي أخذها منّا، الطبيعة البشريّة، لا ترى طبيعة ذلك الذي أخذها ووحّدها به. إلّا أنّنا نترك أولئك في ضلالهم ولنتبع موضوعنا المملوء حياة.

(٧) أفهِمتَ الآن أنّ معرفة الآب تسمّى ابنًا. فالآن اسمع لنتحدّث لك بحسب قدرتنا أيضًا عن الروح الذي لا يُنطق به البتّة. فالروح، كما قلنا، يسمّى حياة الطبيعة الممجّدة. لأنّ كلّ حيّ يحيا بروحه. وهذه التسمية تجدها أيضًا في الحياة، إذ إنّ حياة الحيّ تُدعى روحه. وكذلك الطبائع الناطقة تسمّى الروحانيّة، أعني الحيّة، ولأنّها لا تموت فهي تسمّى الحيّة فقط.

(٨) الروح الذي يخرج إذن من الآب هو حياة ومحيي، لأنّ منه تُعطى الحياة كلَّ حيّ. إنّك تدعو نفسك روحًا، بما أنّها هي حياة جسدك، فكذلك تدعو حياة أقنومه روح الآب. يقال إنّه يخرج من دون أن ينتقل، لأنّ كلّ الأحياء به يحيون ويأخذون منه ما به يكونون أحياء، كلٌّ واحد بحسب رتبة طبيعته.

(٩) الآب هو الطبيعة، والابن والروح هما قوّتاه: هذا معنى تسمية الثالوث الممجّد. وهذه الطبيعة القدّوسة هي معرفة وحياة. ذلك هو تساوي الأقانيم، بلا ابتداء وإلى الأزل. وفي كلّ بلدٍ وموضع وعالم

---

(٩) راجع روم (٥، ١٧)، وأف (٣، ٩).

وزمن ولا زمن يقال إنّ الآب هو في كيانه الابن والروح.

(١٠) قال: «لا أحد يأتي إلى أبي إلّا بي»[١٠]. لا أحد يرى الآب إن لم يكن الابن فيه، لأنّ الآب لا يُرى إلّا بمعرفته. إذن، في مسكن المعرفة، هناك يُرى الآب والروح. طوبى لمَن استحقّ ذلك!

(١١) أن يكون الذهن الطاهر رائيًا وحده الثالوث المقدّس، فإنّ ربّنا يشهد على ذلك ويعلن الأطهار طوباويّين، إذ يسكن هناك مع أبيه وروحه ويضع له هناك مسكنًا، حيث يقول إنّه يستريح برغبة إلى الأبد.

(١٢) في هذا السرّ الذي تحدّثنا عنه، تُرى أقانيم الثالوث المقدّس الممجّد للذهن الطاهر. إنّه يعجب ويندهش ويُسكَّت عن كلّ حركة وكلّ إدراك وكيف تُرى؟ ولا حتّى واحد من السارافيم الناريّة يستطيع أن يكشف ذلك. الرائي وحده يعرف أنّه يرى. أمّا كيف فإنّه لا يعرف. مَن تحدّث عن هذه المشاهدة بمعنى آخر، فهو يتصوّر خيالات وأفكارًا وهميّة. وحدهم الذين اختبروا ذلك هم يعرفون، إذ إنّهم ذاقوا حلاوة الذي لا اسم له ومكثوا في عجب عذوبته وقتًا طويلًا. بالحقيقة يا إخوتي، إذا كنّا نستطيع أن نتكلّم على ذلك النعيم، فإنّ سماعه، على ما أعتقد، يقيم الموتى.

(١٣) بشأن تلك الأقانيم الممجّدة، يجب ألّا يظنّ أنّ واحدة هي أقدم من الأخرى. فكما أنّ الطبيعة الجوهريّة هي بلا ابتداء، كذلك لم يكن وقت وهي بغير معرفة وحياة. فلها المجد من الكلّ إلى أبد الآبدين، آمين.

---

(١٠) راجع يو (١٤، ٦).

الميمر السادس والعشرون[1]

في تمييز أنواع المواهب التي يمنحها الله بواسطة النعمة[2]

(١) الفضيلة هي واحدة، وكثيرة أنواعها. هي واحدة، إذ إنّ كلّ ما يُعمل إنّما هو من أجل الحصول عليها. وهي خاصّة الله، الذي من أجله نسعى إليها. تلك هي الفضيلة.

(٢) إذا أوصَلَت نعمةُ الله الإنسانَ إلى استعلانات الأسرار الإلهيّة، لا ينبغي أن نسمّي ذلك فضيلة، لأنّه ليس عملًا من أعمال المشيئة، بل بالأحرى من أعمال نعيم المعرفة، بلد الراحة. طريقه ليست طريق العمّال إلى ميناء التعبين. ليس فعل المنهكين، بل نعيم العرس. ليس هو بلد المدعوّين[3].

(٣) إذا صارت عند إنسان نبوءة، وإذا كانت خفايا البشر تظهر له، وإذا كان قلبه ينبوع الكلام السرّيّ الذي ينطق به بواسطة الروح، وإذا كان ذهنه مزدهيًا بالإشراقات الإلهيّة، تنبع فيه من الجوهر بوجه خفيّ ومن دون انقطاع، وإذا كان مضطرمًا بحسن الطبع الإلهيّ اضطرامًا

(١) راجع م ف س ١٣٢٦أ-١٣٢٧أ؛ م ح ع.
(٢) خصّص الدلياتي الميمر السادس لمعالجة موضوع التمييز، ويعود إلى الموضوع نفسه في هذا الميمر فيركّز على نقطتين: الفضيلة هي من الله إلّا أنّها تأتي في ختام السعي إليها، ورؤية الله هي نعمةٌ من الله نفسه لا تنتج من العمل الزهديّ نفسه.
(٣) إشارة إلى مَثَل المدعوّين إلى العرس ولم يلبّوا الدعوة. راجع يو (١٤، ١٧-٢٤).

عجيبًا، وإذا كان بالاندهاش يتشفّع لدى حكمة الله المملوءة جودة، وإذا كان يرى الله في ذاته كما في المرآة، ويتكلّم بدالّة معه، وإذا كانت النار الإلهيّة تقع في نفسه، وإذا كان يظنّ أنّ نفسه مع لحمه وعظامه تحترق، وإذا كان يُرى كالمجنون، تُسكِره محبّة الله التي لا يُنطق بها، وإذا كان يَرى قوّات الطبائع الروحانيّة ويُعرَّف له ظهور الأسرار التي هي فوقها، وإذا كان يتغطّى بغمام النور الذي لا يقترب منه، ويَنظر وجه الربّ مواجهة في البلد المليء حياة، فذلك هو بلد الحياة، حياة العالمين، حيث يتراءى للذهن طبع الملائكة كما هو، ويتأمّل التأمّل البسيط في ترتيب درجاتهم، ذلك هو البلد من دون بلد واللامعرفة التي هي أعلى من كلّ المعارف. إذ إنّ رؤية هذه تختفي عنه عندما يكون ذهنه متّحدًا بمجد العظمة، حيث يصيبه نسيانُ الكلّ مع نسيان ذاته.

(٤) ليسكت الفم العاتب الذي لم يشعر بهذا كلّه، من غزارة كلام آبائنا المتكلّمين على تلك الأسرار، تنكشف للذي استنار هكذا تلك الطُرُق التي بعد مقابلة هذه الأسرار مع أخرى، لا تسمح للكلمة بأن تُسمّيها فضيلة، فهي مواهب النعمة، لا عمل الممارسات. فالفضيلة تتمّ بعرق النفس والجسد. لكن طوبى لذلك الذي جاهد وتعذّب في عمل الفضيلة من أجل المسيح، فأوصلته النعمة الإلهيّة إلى تلك. مبارك مَن أعطى هذا إلى طبيعتنا من الآن، فله المجد إلى أبد الآبدين، آمين.

الميمر السابع والعشرون[1]

مسألة سأله عنها أحد الإخوة
رآه يصلّي محوِّلًا وجهه صوب الشمال،
فسأله من أين تطلع الشمس فأجابه[2]:

شمسك أنتَ يا أخي لا همّ لي فيها من أين تطلع ولا أين تغيب. وشمسي أنا لا تطلع ولا تنزل أيضًا، ولا تُشرق ولا تَغيب أيضًا، ولا تملك الظلمة في بلدها ولا يكون ليلٌ في جزء منها، بل إنّ نور جمالها الذي لا يُنطق به هو متساوٍ في كلّ زمن ووقت لناظريه. وتُثبِتُ بلا تغييرٍ في الأذهان الشاخصة إليها بعجَبِ رؤيتها لأبد الآبدين. هذه هي الشمس التي قال عنها لابِس الإله أمونيوس[3]:

---

(١) راجع م ف س ٣٢٩ب-٣٣٠أ؛ م ح ع، ص ٥٢.

(٢) هذا الجواب القصير عن سؤال يتناول وضعيّة الوجه في أثناء الصلاة. الواقع أنّ يوحنّا الدلياتي كان يحوّل وجهه صوب الشمال عند صلاته، كما لاحظ أحد تلاميذه، إلّا أنّ جواب يوحنّا يشرح لماذا شمسه لا تطلع من الخارج، بل إنّها تطلع من الداخل. والشمس هي من أسماء المسيح عند يوحنّا (راجع **الرسائل** ص ٥٢، الحاشية رقم ٧).

(٣) لابس الإله أمونيوس هو على الأرجح أمونيوس النيتري (نيتري هي من براري مصر حيث تنسّك الرهبان) «وقد ترهّب في أحد أديرة الباخوميّين على يدي تادرس تلميذ باخوميوس في ١٥ مارس ٣٥٦م بعد نياحة باخوميوس لستّ سنوات وأكمل رهبنته في نيتريا». راجع الأب متّى المسكين، **القدّيس أثناسيوس الرسوليّ**، دير الأنبا مقار، الطبعة الأولى، ١٩٨١، وادي النطرون - مصر، ص ١٧٩.

«إنّ القدّيسين يعدّون الليل والنهار أمرًا واحدًا في نظرهم». وأيضًا قال عنها هو أيضًا المتكلّم بالروح: «إنْ نظرتَ إلى نورها، فلا تَعْمَ لأبد الآبدين، آمين».

ملحق أوّل

عناوين الميامر كما وردت في الترجمة العربيّة القديمة

(الأرقام في الهامش تشير إلى الترقيم المتسلسل الخاصّ بمخطوط هارڤرد السريانيّ، رقم ٣٠)

(١) ميمر على التحذُّر والتحفّظ والانقطاع من المسترخيّين المتوانيّين.

(٢) في الأفهام التي تضيء من الروح نعيمًا للنشيطين وزيارات الروح الثلاث وفي كيفيّة الحرب والغلبة فيها.

(٦) ميمر على زيارات الروح التي تعطى للمتوحّدين
زيارات المنزلة الأولى
وأيضًا الدرجة الوسطانيّة التي هي النفسانيّة
وأيضًا على درجة الكمال

(٣) ميمر على شيطان الزنا وماسك الأعضاء المظلمة العمياء وعلى ابتداء التجارب والحيل التي تكون قبلهم وفيهم.

(٤) ميمر على شيطان التجديف وكيف حيله وتجديفه.

(٥) ميمر على الحَرَد وعلى الطياشة وعلى الكبرياء.

(٧) الميمر السادس على المحبّة التي تظهرها الملائكة الأطهار عند النشطاء وتعزّيهم.

(٨) الميمر على التاوريا القاطعة.

(١٥)ميمر سابع على أنّه لا ينبغي لأحد أن يلوم الآباء إذا تكلّموا بالنقص بقدر معرفة السامعين.

ميمر ثامن عن الإخوة المبتدئين (هذا الميمر نُشِر في **مجموعة الرسائل** بوصفه الرسالة الثامنة عشرة).

(١٤)ميمر تاسع على الصلاة وعلى قوّات الطبائع الروحانيّة وعلى معرفة الله وعلى إفرازات كثيرة.

على عِظَم قنوم الروحانيّين وعلى حسنهم المتشبّه بالله.

(٩) ميمر على حفظ الحواسّ الخارجة والداخلة وبماذا يتحفّظوا.

(١٠)ميمر على الموت الإراديّ من العالم وعلى الحياة المنتبهة على العالمين.

(١١)ميمر على الدالّة التي يقتنوها عبيد الله التي تعمل في قلوبهم وكيف منها تعطي المعونات للمحتاجين بالروح.

(٢٦)ميمر على إفراز أنواع المواهب التي من الله تعطى بالنعمة.

(١٢)ميمر على سرّ العالم الجديد.

(٢٧)مسألة.

(١٣)ميمر على عجب ظهور الله في النفس وعلى الدالّة التي منه.

(٢٥)ميمر على الثالوث المقدّس التي هي نظرة الأقانيم المسجود لها التي تكشف بالرحمة لعقل المتوحّد.

(١٧)ميمر على العطايا التي من الروح تعطى للمستأنسين بالهذيذ بالله.

(١٧) مكرّر

على اللذّة الأنيسة التي تمتزج بمحبّي الله في نظرهم لمجده.

(١٨)ميمر على الفرار من العالم والانقطاع من الدالّة.

(١٩)تحذيرات ومشورات على التوبة الطاهرة المنهضة من الزلقة.

(٢٠)ميمر على استعلانات ظهور المسيح ربّنا وكيف يظهر لهم وفيهم كما قال ويفرحهم.

(٢١)رؤيا أورِيَ لإنسانٍ من الله لما تقدّم ليقدّس الأسرار الإلهيّة.

(٢٢)وأيضًا للقدّيس ميمر على أنّه كم ينفع الهدوء للنشطاء وكم يطيع الانحلال التعب بالرهبنة.

(٢٣)ميمر على الحبّ وعلى محبّة الله ومن أين تبتدئ المحبّة في الإنسان وإلى أين تصل ومتى يتبدّل الحبّ المحبّة وعلى سرّ العالم الجديد والاتّحاد مع الله.

(٢٤)ميمر له أيضًا على الهذّ في تدبير ربّنا وأنّه يرفع إلى نظر مجده الذي يتهجّا به دائمًا ويجعله مستحقًّا أن يكون له مسكنًا وإله وابن الله وشبه الله.

ميمر على نظر الله وكيف كقدر فعله بأسماء ينعت.

ميمر للقدّيس على ذكر الهذيذ بالله والاهتمام به. (هذا الميمر نُشر في **مجموعة الرسائل** بوصفه الرسالة الخمسون).

(١٦)في ما يقوله آباؤنا في مصير الأنفس بعد انتقالها (غير موجود في الترجمة العربيّة القديمة وموجود في **ڤاتيكان سريانيّ**، رقم ١٢٤).

ملحق ثانٍ

نموذج من مخطوطة ڤاتيكان سريانيّ ١٢٤
المتضمّن ميامر الشيخ الروحانيّ

ܢܬܝܒ ܡܫܝܚܘܬܐ ܕܝܠܗ ܐܦ ܦܪܘܫܐ ܡܠܟܐ
ܒܡܠܟܝܗ. ܟܕ ܚܙܐ ܫܡܥܘܢ ܕܐܬܦܢܝ
ܒܫܒܥܐ: ܠܬܫܡܫܬܐ: ܘܬܠܬܝܢ ܕܗܘܐ ܘܐܬܐ
ܒܫܢܬ ܡܢ ܕܫܠܡܐ ܫܢܝ ܡܢܗ. ܡܛܠ ܕܠܐ
ܢܬܐ ܠܚܪ ܡܢ ܬܫܡܫܬܐ ܕܐܚܝܕ. ܡܢ ܩܕܡ
ܫܡܫܘܬܐ ܠܥܠܡܐ ܢܦܩ ܡܢ ܟܗܢܘܬܐ ܘܐܬܥܒܕ
ܠܐ ܫܡܫܘܬܐ ܕܠܗ ܕܝܢ ܕܡܢ ...
ܠܟܠܢ. ܡܛܠ ܡܫܝܚܐ ܠܡܫܡܫܘ ܕܐܬܐ: ܘܟܕ
ܡܬܚܙܝܢ ܗܘܬ ܘܦܬܟܪܐ ܒܟܠ ܥܒܕܘܗܝ.
ܠܡܫܡܫ ܚܝܠܗ ܕܐܚܕ ܕܢܦܠ ܒܗ. ܐܘܕܝ
ܠܡܫܝܚ ܒܫܡܝܐ ܕܚܝܝܢ. ܕܗܘ ܢܒܥܐ
ܐܝܟ ܕܒܫܡܝܐ ܒܡܫܡܫܢܐ ܘܡܫܡܠܝܢ
ܐܢ ܕܫܡܫܗ ܕܬܫܡܫܬܐ ܡܫܡܫܢܐ ܠܐ ܢܫܟܚ ܐܢܫ
ܢܫܟܚ ܡܫܡܫܢܐ ܐܠܐ ܡܢ ܡܫܝܚ ܐܝܟ. ܘܡܢ
ܟܠ ܟܠܗܝܢ ܡܫܡܫܢ ܠܡܫܡܫܢܘܬܐ ܘܡܫܡܫܢܐ
ܕܡܫܡܫ ܕܡܫܡܫܢܘܬܐ ܘܡܬܠܐܟ ܩܕܝܫܐ.
ܡܫܡܫ ܠܗ ܡܫܡܫܢܝܢ ܒܟܠܐ ܘܡܠܐܟܐ
ܥܡܠܐ ܘܩܪܒܐ. ܘܟܠܗܘܢ ܡܫܡܫܢܐ
ܡܫܡܫܢܐ: ܘܟܠܗܘܢ ܡܫܡܫܢܐ ܘܢܦܩܘ.
ܡܫܡܫܐ ܕܡܫܡܫܢܐ ܡܫܡܫܢܐ ܘܡܫܡܫܢܐ
ܐܦ ܠܡܫܡܫܢܐ. ܘܟܠܗܘܢ ܐܬܬ ܦܢܐ ܘܡܫܡܫ
ܕܠܡܫܡܫ ... ܕܡܫܡܫܢܘܬܗ ܕܡܫܡܫ
ܡܫܡܫ ... ܡܫܡܫܢܐ ...

ܘܢܦܫܗ ܀ ܘܡܬܡܠܠܐ ܡܢܗ ܡܬܟܫܦܢܘܬܐ ܡܫܡܫܢܘܬܐ
ܡܬܚܙܝܐ ܗܘܐ ܀ ܡܛܠ ܕܩܪܝܒܐ ܠܡܫܡܠܝܘܬܐ ܘܠܐܣܝܢ
ܒܫܘܡܠܝܐ. ܡܬܟܫܦܢܘܬܐ ܡܫܬܝܐ ܘܡܫܩܝܐ ܒܝ
ܫܘܚܠܦܐ ܦܪܝܫܐ ܕܒܗ. ܡܛܠ ܕܐܝܟ ܡܕܒܪܢܐ ܠܟܠܗܘܢ
ܟܠܢܫ ܡܬܩܢܘܬܐ ܘܫܪܪܐ ܠܦܫܝܛܐ ܘܠܚܟܝܡܐ
ܒܡܠܐ ܕܟܠ ܦܠܐ ܕܢܦܫܗ ܐܠܗܐ ܢܫܬܡܥ ܀
ܗܠܝܢ ܡܟܪܙܢܘܬܐ ܕܡܢ ܠܥܠ. ܘܗܘ ܚܣܝܪܐ
ܒܕܘܟܬ ܒܪܝܫ ܢܦܫܗ ܕܡܢ ܐܠܗܐ ܦܪܝܫ
ܒܠܘܬܗ. ܘܗܘܝܘ ܡܠܐܟܐ ܡܫܡܠܝܐ ܡܠܝܐ
ܡܢ ܢܦܫܗ. ܠܟܠܗ ܡܢ ܫܘܠܛܢܗ ܘܢܘܗܪܗ.
ܡܫܡܫܢܐ ܠܡܫܝܚܐ ܒܗ ܡܕܡ ܕܡܢܐ.
ܘܡܫܡܠܝܐ ܡܢ ܡܢܐ ܕܠܐ ܡܫܬܐ ܕܒܗ
ܕܫܪܝܪܘܬܐ ܘܡܫܡܠܝܐ ܠܡܫܝܚܐ ܕܟܠܗܘܢ
ܘܫܪܝܪܘܬܐ ܡܢ ܟܠܗ ܕܡܫܡܠܝ ܗܘܐ ܡܢ ܡܠܟܐ
ܕܠܐ ܡܢ ܗܘܐ ܘܠܐ ܡܢ ܟܠܗ ܡܫܡܫܢܐ ܘܡܫܡܫܢܐ
ܡܫܡܫܢܘܬܐ ܕܡܫܡܫܢܘܬܐ ܗ. ܒܗܝ ܐܝܟ ܘܡܢܗ
ܐܘܟܝܬ ܠܡܫܡܠܝܐ ܕܟܠܗܘܢ. ܡܫܡܫܢܐ ܠܡܫܩܠ
ܢܦܫܗ ܒܟܠܗ ܡܫܡܫܢܐ ܘܐܝܟ ܕܦܓܪܐ [illegible]
ܠܗ ܒܡܫܡܠܝܐ ܕܢܦܫܗ ܘܐܝܟ ܕ[illegible]
ܥܢܝܢܐ ܕܟܠܗܘܢ. ܡܫܡܫܐ ܠܗ [illegible]
[illegible] ܕܡܫܡܫܢܘܬܗ ܕܡܢܗ [illegible]
293 ܠܗ ܡܫܡܫ ܒܟܠܗ ܡܫܡܫܢܐ. [illegible]
ܒܗ ܕܟܠ ܡܫܡܫܢܐ ܡܫܡܫܢܐ. [illegible]
[illegible]
[illegible]

ملحق ثالث

نموذج من مخطوط مكتبة حلب المارونيّة رقم ٣٦١
(الترجمة العربيّة القديمة للميامر الشيخ الروحانيّ)

... مسكنته . والغنى الازلى الذى لرب الكل . يشرق فى خفيه افكاره
... حياته . اعترف بعدم معرفتك ايها الميت . وخذ اوليك التى الكلمه .
وحركة النفس ما لها سلطان ان تتحرك عليهم . شا ان يعطيك حسنات ٥٩
مالم تبشر عليهم بكلام ولا خطوط . ولا بحركة النفس . ان اعطيته
طلبتك كلها كما يجب . فله المجد الى ابد الابدين امين

... على الحب وعلى محبة الله ومن اين تبتدي المحبة في الانسان والي
... ومتي يتبدل الحب للمحبة وعلي سر العالم الجديد والاتحاد مع الله ...

... لفيض حبك يا الاهنا السجود لتحننك المتحنن على الكل . بالرحمه اعطيت
. عالمنا المسكين بالذى لنا تمسكنا . وبالذى لك اغنيتنا . نشكر الشعاع الذى منك
اشرق لنا . حتى تجعلنا نحن المظلمين مظيين . مرتفعات هى الحيواة التى من
حظنك . نبعوا لنا فينا نحن المتلبين سماجات . الفارميات الحياه يجروا
لقيامة الموتى المخفيه داخلنا . يا الله الذى ضوا اقنومه . هو عتيد ان
يسكن فيه الناطقين البسيطين . والمركبين فى انبساطة واحده . التى شبهها
حسنها مجده . او ربى بلد الحب لا نتكلم عليها . كما يستطيع ظعفنا المنفعل
منك . امزج فى يا ربى نعمتك برحمتك لا نتكلم عليها . لتلهيب قلب محبيك .
ليخرجوا فى طلبها . ليس يا ربى من الذى لنا نتكلم . على الذى لك . لكن انت تتكلم
فينا عليك . وعلى الذى لك . كالذى يحسن لك . اخلط يا ربى قوة روحك
فى كلام خطوطنا . ليكون قدس مقدس باذهان السامعين . اشرق فيهم
يا ربى نور معرفتك . لينضروا ويعلموا اوليك الذين هم فى حظنك مستورين
وللعقل فقط برحمتك ينكشفوا . وليس يعطوا للذين كلمه ان تنطق عليهم
ليس من يقدر ان يخبر بمحبتك يا ابانا الصالح كما هى . اوليك الذين اشرقت
فيهم وما عرفوا . ادهم هاديين وسكان بين الناس . قطعوا وربوا منهم
للجنس والقبيله . وكل حب جسدانى . وجعلوا انفسهم غربا للكل . ادمن

هولاء يقدروا يدركوا حبك القدس. نزعوا النياحات. ولبسوا الاحزان.
بغضوا التمتع باللذات. واحبوا الشقوات. تركوا عالمهم بجميع مفرحاته.
وبالعالم الاخر وخيراته ماكانوا احسوا. اصرفوا وجوههم عن قنايا هم. والمزمع
ان ياتي ما ابصروا. تركوا الافراح واتخذوا الضيق. والبكا نهارًا وليلاً.
وللذي يطلبوا بعد لم يعرفوا. الى الان لمن يجروا في طلبه ليدركوه. بل ابدلوا
ذلك الذي لابيهم المسكين. لياخذوا عوضه ذلك الذي لابيهم الغني. هم
الى الان يطلبوا ذلك الذي له. وما احسوا ان اقنومه يعطيهم. لانه
عالمهم وبلدهم وها مجدهم. ومينا نياحاتهم وله يبلغوا في نهاية جريهم.
زادحبك يا الاهنا ماذا تفعل. انت لذاتك تعطي دهر وغذالهم. وشرف
وسرور ومجد. للذي تركوا عالمهم. وبغضوا افراحه. ونزعوا تسبحتهم.
ولاجلك هم يشقوا. وادم بهذا ما احسوا ايضا ما صبروا. ولان لم يكن
لهم شيّ موجود يعطوا لاجلك. اسلموا اجسادهم للموت وهم فرحين.
وصاروا موت لمن اراد ان يميتهم. وقتلوا بحيات القتيل. يجروا في
طريق الاحزان فرحين. وحاملين للشقوات باعضايهم. مصلوبين
وهم مسرورين. وحين تحوطهم من كل جهة الشدايد. لم يريدوا لهم
معونة للخلاص. بل يقولوا اعطنا قود يا ابانا لنتالم من اجلك. ودع تكثر
الشدايد. يصعب عليهم اذلم تاتيهم الشدايد. مظيقين وباكيين اذ لم
تحوطهم الاحزان. ويُزعجوا زيهم باصوات فرحه. صارخين من داخل بالتنهد
لا شي هم اوجاعنا عند مجدك المزمع ان يظهر فينا. يوبخوا اللحميين الروحانيين
المظيقين عليهم قايلين اخزوا ايها الروحانيين اعني الشياطين ما اضعف
شدايدكم. ايها الختن مدنغا كل. الذي فيه عرسه مزج دمه وهو فرحان.
ومدعييه تلذذوا بالشقوات وهم فرحين. من هو الذي لا يندهش. وله
قلب من حجر لا يتعجب بهذا الرويا العجيب. انظر يا اخي ماذا يفعل الحب
بالذي يمتنوع. شربوا منه وسكروا. ونسوا حياتهم الزمنيه وعالمهم.

سمعوا

ملحق رابع

فهرست المصطلحات والأسماء

(فهرس بأهمّ الكلمات والمصطلحات والأسماء كما وردت في نصّ الميامر، وقد تمّ اختيار الأساسيّ منها وما له علاقة بالعقيدة الروحيّة.
الرقم الأوّل يشير إلى رقم الميمر، والثاني يدلّ على المقطع)

أ

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

ي

ملحق خامس

فهرس المراجع

الأبَاتيّ جبرائيل جبرائيل القرداحيّ، **اللباب، قاموس سريانيّ-عربيّ**، دار ماردين، حلب، ١٩٩٤.

إبن العبريّ، **الإيتيقون، فلسفة الآداب الخُلُقيّة**، دار اللوء، القامشلي، ١٩٦٧.

أبونا، ألبير، **أدب اللغة الآراميّة**، طبعة ثانية، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦.

أفرام الأوّل برصوم (البطريرك)، **اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانيّة**، الطبعة الثالثة، بغداد، ١٩٧٦.

إسحاق السريانيّ، **نسكيّات**، بيروت، ١٩٨٣.

يوحنّا الدلياتيّ، **مجموعة الرسائل الروحيّة**، نقلها عن السريانيّة الأب سليم دكّاش، طبعة ثالثة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٩.

– **مخطوطات:**

ڤاتيكان سريانيّ ١٢٥، من القرن الحادي والثاني عشر.

ڤاتيكان سريانيّ ١٢٤، من القرن الرابع عشر.

مخطوط عربيّ، مكتبة حلب المارونيّة، رقم ٣٦١، من القرن الثامن عشر.

هارڤرد سريانيّ ٣٠، من القرن الخامس عشر.

ALFEYEV H., *L'univers spirituel d'Isaac le Syrien*, Coll. «Spiritualité orientale» n° 76, Bellefontaine, 2001.

ARNOU, R., *Le Désir de Dieu dans la Philosophe de Plotin*, Rome, 1967.

AUDO, TH., *Dictionnaire de la langue chaldéenne*, 1897.

BEULAY, R., *L'Enseignement Spirituel de Jean de Dalyatha, mystique syro-oriental*, coll. «Théologie historique», n° 83, Editions Beauchesne, 1990.

BEULAY, R., JEAN DE DALYATHA, *Dictionnaire de Spiritualité*, t. 8, col. 445-452.

BEULAY R., JOSEPH HAZZÂYA, *Dictionnaire de Spiritualité*, t. 8, col. 1341-1349.

BEULAY R., *La lumière sans formé, Introduction à l'étude de la mystique chrétienne syro-orientale*, chevetogne, 1987.

BEULAY, R., *La Collection des Lettres de Jean de Dalyatha*, édition critique du texte syriaque inédit, traduction française, introduction et notes, Coll. «Patrologia Orientalis» tome XXXIX, Fasc, 3, n° 180. Brepols, Turnhout/Belgique 1978.

BROCk S., *La Prière et la vie spirituelle selon les Pères Syriaques*, in *Parole de l'Orient* 26 (2001) 201-266, USEK, Liban.

BRUN, V., *Dictionarium Syriaco-latinum*, 1911.

CHABOT, J.B., *Littérature syriaque*, Paris, 1934.

COLLES, B., *The mystical discourses of John Saba*, (manuscript) university of Melbourne, 1969.

COSTAZ, L., *Grammaire syriaque*, Beyrouth, 1955.

COSTAZ, L., *Dictionnaire syriaque*, Beyrouth, 1963.

DESPREZ V., *le monachisme primitif*, Coll. «Spiritualité orientale», n° 72, Bellefontaine, 1998.

ESCOLAN, P., *Monachisme et Église*, Editions Beauchesne, Paris, 1999.

GIGNOUX, P., *Narsaï; Dictionnaire de Spiritualité*, t. 11, col. 39-41.

GRAF, G., *Geschichte der christlichen arabischen Literatur Bd. 1-5*, (città del Vaticano, 1944-1953). Coll. «Studi e Testi», n°. 118, 133, 146, 147, 172.

GUILLAUMONT, A., *Les six centuries des «Képhalaia Gnostica» d'Évagre le Pontique*, «Patrologia Orientalis», 28, Paris 1958.

GUILLAUMONT, A., *Les «Képhalaia Gnostica» d'Évagre le Pontique*, Paris, 1962.

GUILLAUMONT, A. et C., *Évagre le Pontique, Dictionnaire de Spiritualité*, t. 4, 1731-1744.

JEAN D'APAMÉE, *Dialogues et Traités*, introduction, traduction et notes par René Lavenant, s.j. «Sources Chrétiennes», 1984, n° 311.

MURRAY, R., *Symbols of church and Kingdom*, a study in early syriac Tradition, Cambridge, 1977.

ORTIZ DE URBINA, *Patrologia Syriaca*, Romae, 1965.

PSEUDO-MACAIRE, *Œuvres Spirituelles*, (Homélies de la Collection III), Sources Chrétiennes, n° 275.

VÖÖBUS, A., *History of Ascetism in the Syrian Orient*, 2 vols., Louvain, CSCO, 1958 et 1960.

WENSINCK, A.J., *Mystic Treatises*, by Isaac of Ninive, Wiesbaden, 196٥

فهرس المحتويات

تصميم الغلاف : **جان قرطباوي**

الصفّ والإخراج : **شركة الطّبع والنّشر اللّبنانيّة (خليل الديك وأولاده)**

الطباعة : **مؤسَّسة دكّاش للطباعة**

٨١٣ - ١,٥ - ٢٠٠٢/٤/٣٠